Vol 3/ N°1/ June 2023
م.3/عدد 1/جوان 2023

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله
مخبر الدراسات و الأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر
1830-1516

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط

المجلد الثالث
العدد الأول: جوان 2023

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

People's Democratic Republic of Algeria
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Algiers 2 University Abou El Kacem Saâdallah
Laboratory of Studies and Research of Ottoman Heritage in Algeria
1516-1830

Algerian Review of Ottoman and Mediterranean Studies

Volume 3
Issue 1 : June 2023

المجلد الثالث، العدد الأول، جوان 2023
مجلة أكاديمية دولية علمية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية العثمانية والبحر المتوسط،تصدر عن جامعة الجزائر 2، أبو القاسم سعد الله

العنوان:	**ـ المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**
السلسلة:	ـ المجلد الثالث، العدد الأول، جوان 2023
الناشر:	ـ جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر: **حقوق النشر**: محفوظة لمنشورات جامعة الجزائر 2، الجزائر
هيئة التحرير:	
الرئيس الشرفي للمجلة:	بن حفري شكيب
مدير المجلة:	بوغفالة ودان
رئيس التحرير:	تواتي عصمت
المحررون المساعدون الجزائريون:	**جامعة الجزائر 2:** بن بلة خيرة، دحماني توفيق، كنتور رابح، خيراني ليلى. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة غرداية:** سهيل جمال. **جامعة خميس مليانة :** محرز أمين. **جامعة المدية:**غالي الغربي. **جامعة المسيلة :** بلعبد الوهاب فرنيني ليندا. **جامعة وهران 2:** القورصو كمال. **جامعة تلمسان:** معروف بلحاج، صلاح الدين صالحي. **جامعة تيارت:** بن صحراوي كمال
المحررون المساعدون الدوليون:	**CSIC - مدريد:** دو بوينز إيبارا ميجيل أنخل. **جامعة أليكانت:** رويزبخارانو بربارا، بورخا فرانكو، كوتياس خوسيه فرانسيسكو، برنابي لويس ف. **جامعة آق دينيز– أنطاليا:** شيمشك فاطمة. **جامعة ألكالا دي هيناريس، مدريد:** صولاإيميليو. **جامعة برشلونة:** كورالاسالوي مارتين. **جامعة قادس:** مواق محمد. **جامعة جلال بايار – مانيسا:** بلبل أوغوز بتول، إيرسوزسربيل. **جامعة باري:** نيكوزيالدو. **جامعة غازي – أنقرة:** كورناز جمال. **جامعة الدار البيضاء :** لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعةاسطنبول:** كاديوأغلو محسن، بستان إدريس، آق محمود. **جامعةكركلارلي :** سردار حسين. **جامعة كوجاإيلي:** نيملياوغلوكوجا ياسمين. **جامعة ليدن :** فان كريكن جرارد. **جامعة صفاقص:** شاشية حسام الدين. **جامعة صوفيا-طوكيو:** شيميزو نوريو. **جامعة SSHT–تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة فالنسيا:** كونستان أنطونيو. **جامعة فيسكنسن– ماديسون:** هوتشينسن ستيفن. **جامعة منبلي** :ألان تياري
الهيئة العلمية الإستشارية:	**جامعة أليكانت:** كوتياس خوسيه فرانسيسكو. **جامعة الجزائر 2**: سعيدوني ناصر الدين ، تابليت علي. **جامعة البليدة 1**: بن حموش مصطفى. **جامعة SSHT–تونس** : بن سليمان فاطمة. **جامعة صفاقص**: شاشية حسام الدين. **جامعة الدار البيضاء :** لقباقبي اليعقوبي خديجة، مزيان ليلى. **جامعة اسطنبول:** بستان إدريس، آق محمود. **جامعة غازي، أنقرة:** كرناز جمال
الأمانة:	بحيري يامنة ، محرز أمين ، برزوان نسيمة
الطبع:	مطبوعات جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، الجزائر
الرقم الدولي المعياري للدورية ISSN:	1184-2800
تاريخ الإيداع القانوني:	2021/12/29

العنوان: **المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط**، مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية	الهاتف:021270231 / 0553183261 **الفاكس**: 023180111	البريد الإلكتروني: aroms@univ-alger2.dz

أهداف المجلة

- المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط هي مجلة سداسية يُصدرها مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية. تأسست عام 2021، وتتبنى رسالة البحث في دراسة تاريخ العالم العثماني والمناطق التي كانت تنتمي إليه، ومنها الجزائر، وذلك خلال الفترة الحديثة على وجه الخصوص.

- تنشر المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط الأبحاث العلمية التاريخية الأصيلة في حقل الدراسات العثمانية وتاريخ البحر الأبيض المتوسط، وتسعى إلى إنتاج مادة علمية ذات جودة عالية، للباحثين المتخصصين في المجال أين يتبادلون فيما بينهم وجهات النظر لترقية البحث العلمي.

-تمنح المجلة الأولوية للدراسات التي تتناول تاريخ العلاقات السياسية والثقافية والتبادل الاقتصادي في حوض البحر الأبيض المتوسط، وتاريخ حركة الهجرة وظاهرة الرحلة داخل العالم العثماني، وبينه وبين العالم الخارجي في المشهد الثنائي والإقليمي والعالمي.

- تسعى المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر التوسط إلى التركيز على الدراسات التاريخية، و تترك مجال البحث مفتوحًا للتفاعل بين التاريخ وباقي العلوم الإنسانية والاجتماعية الأخرى.

قواعد النشر

- يُطلب من المترشح مراجعة رابط مجلة الدراسات العثمانية والبحر المتوسط على الموقع الالكتروني لمخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر، جامعة الجزائر2، الجمهورية الجزائرية:

http://www.lerpoa.univ-alger2.dz لتحميل الملفات التالية:

* دليل المؤلف: يحتوي هذا الملف على: دليل المؤلف، ميثاق النشر في المجلة، وثيقة نقل حقوق التأليف. اطلع على هذه الملفات جيدا، واحتفظ بها لتنفيذ مختلف عمليات تحضير المخطوط.
* تعليمات المؤلف: ويحتوي على نموذج كتابة مقال باللغات التي تنشر بها المجلة، اختر النموذج المناسب للغة مقالك.

- تحضير المخطوط:

* يجب أن تكون المقالات في المتن بخط Sakkal Majalla، حجم 14 تباعد الخط بسيط؛ باقي التفاصيل موجودة في النموذج.
* من الناحية الأخلاقية، أنت المسؤول الوحيد عن مقالتك ومحتوياتها، راجع ميثاق أخلاقيات النشر في المجلة.
* يمكن أن تكون مساهمتك في المجلة بأشكال مختلفة: مقال يلخص البحث العلمي النظري؛ أو تقرير عن حدث علمي؛ أو عرض لكتاب نشر مؤخرا.
* تقبل المجلة للتقييم المقالات الأصلية فقط، التي تتوافق مع النموذج الخاص بالمجلة، الذي قمت بتنزيله سابقا. بمجرد قبول المادة للنشر، يصبح المقال ملكًا لمنشورات جامعة الجزائر2، الجزائر، ولا يمكن إعادة نشره؛ راجع وثيقة نقل حقوق التأليف.
* يحتفظ فريق التحرير بالحق في تعديل النسخة النهائية من البحث، إذا لزم الأمر، حتى يصبح أكثر توافقاً مع نموذج المجلة.
* من المهم جدًا ملاحظة أن المؤلف ملزم بكتابة نصه ببساطة، ويتجنب التنسيقات الخاصة، ستتولى أمانة المجلة مسؤولية تنسيق جميع مقالات العدد، لذلك، ستتم إزالة كل التنسيقات التي لا تنسجم مع نموذج المجلة.

* حجم النص يكون في حدود 6000 كلمة (دون حساب قائمة الببليوغرافيا).

-بعد الانتهاء من تكييف ملف المقال مع شروط النشر بالمجلة، قم بصبه في نموذج مقال المجلة.

-احرص على احترام كل الإعدادات التي ستجدها في نموذج المقال. ثم قم بحفظ كل التعديلات التي قمت بها، وقم بإعادة تسمية المقال باسمك بالحروف اللاتينية.

-إرسال المقال:

* تُرسل المقالات إلى المجلة عن طريق البريد الالكتروني:aroms@univ-alger2.dz

- قبول المقال للتحكيم والنشر:

* عند استقبال المجلة للمقال، تقوم هيئة التحرير بمراقبة مدى احترام المؤلف لمتطلبات نموذج المقال الشكلية، ثم تتم مراقبة مدى أصالة المقال، إذا كان التقييمان إيجابيان، يتم قبول المقال للتقييم فقط.

* يتم حفظ وترميز المقال في صيغة (PDF)، بحيث يتم إغفال الاسم واللقب وباقي المعلومات التعريفية.

* يرسل المقال إلى المحرر المساعد المتخصص في موضوع المقال.

* يقوم المحرر المساعد بإرسال المقال إلى مراجعين اثنين. يتم تقييم كل مقال مقدم إلى المجلة سريا (لا يعرف المراجعان اسم مؤلف المقال، كما لا يعرف المؤلف هوية المراجعين). تسمح لنا مراجعة النظراء بتقييم دقيق وموضوعي من قبل المختصين.

* بعد انتهاء المراجعة، يمكن للمحرر المساعد، بناء على تقارير المراجعين، أن يرفض المقال أو يقبله كما هو، أو يقبله بتحفظ.

* في حال القبول بتحفظ سيعاد لك المقال، راجع تقارير المراجعين، وقم برفع التحفظات، ثم أعد إرسال المقال، كما يمكنك حينها تقديم شروح وتوضيحات للمراجعين.

- إرسال الإقرار (التعهد) بنقل حقوق التأليف:

* نشر المقال بالمجلة مرهون بإرسال المؤلف تعهدا بنقل حقوق التأليف والنشر (ممسوح ضوئيا) على شكل (pdf/Image) (النموذج المتوفر على الرابط المذكور أعلاه) إلى

رئيس التحرير عبر البريد الإلكتروني للمجلة: aroms@univ-alger2.dz هنا يمكنك طلب وعد بالنشر عند الإقتضاء.

* ينشر سنويا العدد الأول شهر جوان والعدد الثاني شهر ديسمبر من المجلد إلكترونيا، وعندئذ يمكنك تحميل المقال إلكترونيا من رابط المجلة على موقع مخبر الدراسات والأبحاث في الموروث العثماني بالجزائر: http://www.lerpoa.univ-alger2.dz

المحتويات

1 - باللغة العربية

افتتاحية العدد		7
إسهام العثمانيين في أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر مظهر من مظاهر التعايش بين المذهبين الحنفي و المالكي	عمريوي فهيمة	8
سفينة الشبّاك. اعتبارات جديدة تتعلّق بأصلها و خصائصها و انتشار استخدامها	محرز أمين	37
المصحف الموقوف على الجامع الكبير بمدينة الجزائر و المحفوظ بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة و الفن الإسلامي	نايم فيصل	59

2 - باللغات الأجنبية

El inicio del reinado de Felipe III, el final de la política defensiva en el Mediterráneo contra el Imperio Otomano	**Bunes Ibarra Miguel Ángel**	**80**
Le conflit des années 1769-1772 entre le Danemark et l'Algérie: une guerre oubliée	**Ødegaard Torbjørn**	**102**

افتتاحية العدد

أوضح السيد بونيس إيبارا أن فيليب الثالث، على رأس الملكية الإسبانية، كان عازمًا، مثل سلفه تشارلز كينت، على غزو مدينة الجزائر التي تعرضت لهجوم فاشل من قواته في عام 1601. لكن محاولات هذا الملك عرفت نفس إخفاقات شارل الخامس، على الرغم من الخطط المتجددة للاعتماد على قبائل كوكو لهزيمة القوة العثمانية للجزائر. تسببت هذه الإخفاقات الجديدة في العودة القسرية إلى الخيار الذي اختاره فيليب الثاني لحرب منخفضة الشدة مع الجزائر. فشل عسكري آخر استشهد به السيد أوديجارد، و هو فشل الدانو النرويجيين ضد الجزائريين في حرب 1769-1772، من مصادر إسكندنافية. من جهتها، سلطت السيدة عمريوي الضوء، استنادًا إلى سجلات المحاكم الشرعية بالجزائر، على المشاركة الملحوظة للموظفين العسكريين و الإداريين، من المذهب الحنفي، في منح الأوقاف لصالح المسجد الكبير بالجزائر ذو المذهب المالكي. ازدادت هذه الظاهرة منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر، و هي علامة على تقارب أكبر بين أنصار المذهبين. قدم السيد نايم وصفًا مفصلاً لنسخة القرآن التي تم وضعها في الوقف لصالح المسجد الكبير، من قبل عبدي باشا، الذي حكم البلاد من 1724 إلى 1732. نسخة هذا القرآن محفوظة في المتحف الوطني للآثار و الفنون الإسلامية بالجزائر. بالنسبة للسيد محرز، حاول تسليط الضوء على أصل سفينة الشباك و على المكان الذي اتخذه المهندسون الجزائريون، في العهد العثماني، لتحويلها و تطويرها، لدرجة جعلها أحد أكثر السفن استخدامًا بمنطقة البحر الأبيض المتوسط في القرن الثامن عشر و العقود الأولى من القرن التاسع عشر.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 3 العدد: 1 ص ص 8-36
ر ت م د (ISSN) : 2800-1184
تاريخ الإرسال (2023/05/28) تاريخ القبول (2023/06/15) تاريخ النشر(2023/06/30)

إسهام العثمانيين في أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر مظهر من مظاهر التعايش بين المذهبين الحنفي و المالكي

The Contribution of Ottomans in the Endowments of The Great Mosque of Algiers: A manifestation of coexistence between the Hanafi and Maliki Schools

عمريوي فهيمة♦
جامعة الجيلالي بونعامة -خميس مليانة-
البريد الإلكتروني : f.amrioui@univ-dbkm.dz

ملخص:

تتناول هذه الدراسة إسهام العثمانيين في أوقاف الجامع الأعظم بالجزائر المالكي المذهب، و الذي يعد ثاني مؤسسة وقفية من حيث مداخيله و عائداته المُحبسة. و اعتمادا على توظيف و استغلال و تحليل عينة من وثائق المحكمة الشرعية سنُعرف بالجامع الأعظم، و الواقفين عليه من جيش و دايات و موظفين إداريين مع تحديد طبيعة الأملاك الموقوفة، و أماكن تمركزها بمدينة الجزائر، و إبراز التطور الحاصل في أوقاف العثمانيين لصالح الجامع الأعظم. كما نبرز سياستهم الدينية و مدى التعايش بين المذهبين الحنفي و المالكي في الفترة العثمانية.

الكلمات المفتاحية:
العثمانيون ؛ الجامع الأعظم ؛ الأوقاف ؛ مدينة الجزائر ؛ التعايش المذهبي.

Abstract:

The present paper studies the contribution of the Ottomans to the endowment of the Great Mosque of Algiers, of the Maliki school; the second endowment institution regarding incomes and locked-in returns. The study is based on the employment, exploitation and analysis of a sample of the documents of the Sharia court.

♦المؤلفة المرسلة

We will present the Great Mosque and those who endowed it from the army, the deys and administrative staff. We will determinate the nature of the endowed properties, and their location in Algiers, highlighting the development that took place in the endowments of the Ottomans in favor of the Great Mosque. We also highlight their religious policy in Algeria and the extent of coexistence between the Hanafi and Maliki schools of thought during the Ottoman period.

Keywords:
Ottomans; The Great Mosque; Endowments; Algiers; Coexistence between Schools.

مقدمة:

نتج عن ارتباط الجزائر بالباب العالي عام 1519 تحولات عميقة شملت شتى المجالات السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية، فقد عرفت التركيبة السكانية مثلا تغيرات واضحة إذ أصبحت تتميز بتنوع أجناسها و تعددها، و لعل أهم هذه العناصر فئة الأتراك العثمانيين التي تصدرت الهرم الاجتماعي و أخذت مقاليد الحكم فأصبحت المؤسسة السياسية و العسكرية تركية - عثمانية.

أجمعت معظم الكتابات الغربية على أن نشاط العثمانيين سواء كانوا عسكريين أو سياسيين انحصر في حفظ الأمن في الإيالة و جمع الضرائب و قمع التمردات المحلية، ورد الحملات الخارجية، و هي بذلك تصور الجيش على أنه أداة حكم و حرب فقط، غير أن وثائق المحكمة الشرعية، المحفوظة بمركز الأرشيف الوطني تتضمن معطيات هامة عن الحياة اليومية للإنكشاري منها: امتلاك العقارات و التصرف فيها بشتى أنواع التصرفات المتعامل بها كالبيع و الشراء و الهبة و الكراء و الوقف و الزواج و الطلاق و غيرها... حاولنا من خلال توظيف و استغلال و تحليل عينة من وثائق المحكمة الشرعية[1]، إضافة إلى سجل آخر يحمل رقم 81 و هو مصنف ضمن رصيد بيت المال و البايلك[2]. رصد بعض ملامح الحياة الاجتماعية

[1] سترد مختصرة على الشكل التالي أ. و.ج، و.م.ش، ع، و. أي الأرشيف الوطني الجزائري، وثائق المحاكم الشرعية، العلبة، الوثيقة.

[2] سترد مختصرة على الشكل التالي أ. و.ج، ب.م، ع، س. أي الأرشيف الوطني الجزائري، البايلك و

للعثمانيين بالتعرض إلى إسهامهم في الأوقاف الموجهة للجامع الأعظم، و عليه فإن البحث يطرح إشكالية تتمثل أساسا في مدى إسهام العثمانيين في الأوقاف لصالح الجامع الأعظم، و الانتماء الاجتماعي للواقفون، و طبيعة العقارات التي أوقفوها و أماكن تمركزها، ثم الدوافع التي جعلت العثمانيون يوقفون لصالح مسجد مالكي المذهب.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز مدى اهتمام العثمانيون بالأعمال الخيرية من جهة، و السياسة الدينية التي اتبعوها في حكم الجزائر من جهة أخرى.

1. تعريف الجامع الأعظم

تميزت مدينة الجزائر أثناء العهد العثماني بكثرة المساجد الموجودة بها منها 14 مسجداً تابعا للمذهب الحنفي، أما المساجد المالكية فقد فاق عددها 89 مسجدا[3]، و لعل أهمها الجامع الأعظم الذي يرجع تاريخه حسب الكتابة الموجودة على منبره إلى رجب 409هـ/1018م، كما وجدت كتابة أخرى على إحدى جدرانه ورد فيها أن أبو تاشفين أتم بناء منارة الجامع الأعظم عام 723هـ- 1324م[4]. لفت الجامع الأعظم انتباه بعض من زاروا الجزائر أو مروا عليها، فقد وصفه حسن الوزان سنة 922هـ/1515م بأنه "... جامع ممتاز في غاية الكبر على شاطئ البحر..." [5]، و ذكره التمجروتي بقوله : "...فيها مسجد الجامع واسع إمامه مالكي المذهب..."[6].

يقع الجامع الكبير بالمنطقة السفلى المحاذية للبحر أي الوطى[7]، حيث يمتد من

المال، العلبة، السجل.

[3]**AUMERAT (M. M.)** : « La propriété urbaine à Alger », *Revue Africaine*, N°41, 1897, p. 372.

[4]**DEVOULX (Albert)**: *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Alger, typographie Bastide, 1870, p. 94.

[5]**الوزان (حسن)**: *وصف إفريقيا*، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2،بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989، ص37.

[6]**التمجروتي (علي إبن محمد)**: *النفحة المسكية في السفارة التركية*، تقديم و تعليق سليمان الصيد، تونس، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع، ص 90.

[7]تمثل المنطقة السفلى الجزء الرئيسي في المدينة حيث تجمعت الأجهزة السياسية و الإدارية و العسكرية و الاقتصادية من ثكنات و مساجد و أسواق و قصر الجنينة و دار السكة و مؤسسة بيت

الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي و من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، و قبلته بالجنوب الشرقي و هو قائم على شاطئ متصل بالبحر[8]، و في الواجهة الجنوبية الغربية تُوجد ملحقة تابعة له تُعرف بالجنينة و تشتمل على ساحة و مباني يشغلها المفتي و أعوان المسجد، و تحتوي واجهته الشمالية الشرقية على مصلى مُخصص للصلاة على الأموات و غُرف يشغلها المؤذنون و باقي الموظفين إضافة إلى مراحيض و عيون للوضوء، و ساحة كبيرة مُثبت عليها بطارية بها أربعة مدافع تم استعمالها للدفاع عن المدينة[9].

يحتوي الجامع الأعظم على تسعة أبواب، تقع خَمسة منها في الواجهة الشمالية الغربية و هي باب الجنينة، و باب البواقل و الثالث استحدثه الفرنسيون لوجود الأشغال بالمكان، و يُعرف الباب الرابع بالفوارة، و الخامس بباب الصومعة، و في الواجهة الجنوبية الشرقية يوجد بابان تَنفتح واحدة على باب البواقل و الأخرى على باب الصومعة اللذان ينفتحان بدورهما على رواق مستدير يستعمل لأغراض دفاعية، و في أسفله توجد دكاكين يستغلها البايلك لحاجات البحرية. و تحتوي الواجهة الشمالية الشرقية على بابان أيضًا تُعرف واحدة بباب الجنائز، و الأخرى بباب الطحطاحة لانفتاحها على ساحة كبيرة موجودة بها عدد من المدافع، و يختلف داخله عن بقية المساجد باحتوائه على 72 عموداً مكونًا من الحجارة و الآجر المملوء مُغطى بطبقة من الجَبس و الجير و ينفصل كل عمود عن الأخر بـ 3.40 مترا[10].

عَرف الجامع الأعظم خلال الفترة العثمانية نشاطا قضائيا و دينيا و تعليميا و اجتماعيا و سياسيا هاما غطى أنشطة كل الجوامع الأخرى التي بناها الولاة العثمانيون أنفسهم أمثال الجامع الجديد و جامع القصبة و جامع كجاوة...[11]، فمنذ

المال... أنظر:

RAYMOND (André): « Le centre d'Alger en 1830 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°31, Septembre 1981, pp. 73-74.

[8] **الجيلالي (عبد الرحمن)**: "الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا"، *مجلة الأصالة*، العدد 8، الجزائر، 1972، ص116.

[9] **DEVOULX (Albert)**: *op. cit.*, pp. 96-97.

[10] *Ibid.*, p. 97.

[11] **التميمي (عبد الجليل)**: "وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم"، *المجلة التاريخية*

الثمانينات من القرن السابع عشر ميلادي أصبح مقر للمجلس العلمي[12] الذي هو بمثابة محكمة استئناف أو ديوان للمظالم توكل إليه مهمة الفصل في الخلافات و النزعات التي عجز القاضي عن حلها[13]. كما أشرف على أمور العبادات و الصلاة، و تميز بتنوع و نوعية الدروس التي كانت تقدم فيه مثل النحو و الصرف و العروض و الحساب و الأصول و البيان، و قد قدمها علماء أجلاء و مدرسين أكفاء منهم الشيخ العلامة محمد بن علي محمد بن الشريف الزهار، و الشيخ علي بن مبارك المتوفى سنة 1631م، و ابنه الشيخ محي الدين المتوفى سنة 1648م[14].

كما كان منبرا للسياسة و كرسيا للمعارضة في نهاية الحكم العثماني و بداية الاحتلال الفرنسي، حيث كانت أخبار المعارك البحرية و الانتصارات على المسيحية تقرأ من على منبر الجامع الأعظم[15]. و خلال ثلاثة عشر سنة الأولى التي عقبت الاحتلال لم يطرأ أي تغيير على النظام الداخلي للجامع الأعظم[16]، إلى غاية 23 مارس 1843م حين أصدر الجنرال بيجو (Bugeaud) قرارين رسميين يقضيان بضم مؤسسات الوقف إلى أملاك الدولة (الدومين)، و إدخال اللغة الفرنسية في المدارس

المغاربية، العدد 05، 1980، ص 157.

[12] تفيض وثائق المحاكم الشرعية بالقضايا المرفوعة للمجلس العلمي خاصة ما تعلق منها بقضايا الوقف، و من المعطيات الواردة في هذا النوع من العقود تشكيلة المجلس و هم ممثلي الهيئة الدينية المكونة من المفتيين الحنفي و المالكي، و القاضيين الحنفي و المالكي، و عنصر من الجيش الإنكشاري برتبة الأياباشي الذي يعتبر ممثل للسلطة، و هذا ما جعله يتمتع بهيبة و مكانة لدى السكان، كما يحضره أمناء أو معلمين من البنائين - أهل الخبرة كما وصفتهم العقود- و هم ليسوا بأعضاء قانونيين بل يعتمد عليهم فقط في تحديد قيمة العقار و إبداء رأيهم بشأنه.

[13] **غطاس (عائشة)**: *الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية، اقتصادية*، الجزائر، منشورات ANEP، 2007، ص 78.

[14] عن الدور الديني التعليمي للجامع الأعظم و العلماء الذين تخرجوا و تولوا وظائف به أنظر: **بوحمشوش (نعيمة)**: *الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف*، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2013- 2014، ص ص 80-103.

[15] **الجيلالي (عبد الرحمن)**: "مدى مساهمة الجامع الكبير في الأحداث الدينية و الثقافية و القضائية في مدينة الجزائر خلال نهاية العهد التركي"، *حقائق مدينة الجزائر*، عدد 18، 1884، ص 28.

[16] **DEVOULX (Albert)**: *op. cit.*, p. 123.

القرآنية، و في نفس السنة تم إقالة المفتي مصطفى بن الكبابطي[17] من منصبه و نقله إلى فرنسا تمهيدا لنفيه إلى الإسكندرية، و ذلك بعد اتهامه من قبل السلطات الفرنسية بتحريض الأهالي على المقاومة[18]. و اغتنمت فرنسا هذه الفرصة و أصدرت قرار 4 جوان 1843م القاضي بإخضاع الأوقاف و الموظفين بالجامع الأعظم للتنظيمات الفرنسية[19].

2. مؤسسةأوقاف الجامع الأعظم

تحتل مؤسسة الجامع الأعظم المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد مؤسسة الحرمين الشريفين، و تعود أولى عقود التحبيس الخاصة بالجامع الأعظم إلى سنة 947 هـ/1541م و بذلك يمكن القول أن هذه المؤسسة ظهرت في النصف الأول من القرن السادس عشر[20]، و قد تميزت بكثرة مداخيلها حيث وصل دخلها السنوي عام 1830 إلى 43222.70 فرنك تدرها 1558 وقفا[21]، مما جعلها تُؤمن أرباحا عالية و مردوداً وافراً رغم كثرة المصاريف المخصصة لصيانة المسجد و العقارات التابعة له، و كذا شراء ما يحتاجه المسجد من حصائر و زيت و مختلف النفقات الأخرى، و من مردود تلك الوقفيات تم إنشاء زاوية تعرف بزاوية الجامع الكبير تم بناؤها حوالي 1039هـ/1629-1630، و ذلك في عهد المفتي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم، و قد

---

[17] ولد مصطفى بن الكبابطي بمدينة الجزائر عام 1189هـ/1775، و هو من أصول أندلسية، و تتلمذ على يد عدة شيوخ منهم: علي بن عبد القادر المعروف بابن الأمين، و علي المنجلاتي... و من شيوخه بالإسكندرية الشيخ محمد الرضوي البجاري، و قد تولى عدة وظائف في القضاء و الفتوى و التدريس في الجزائر و الإسكندرية، و في هذه الأخيرة اشتهر برواية الحديث... عن حياة ابن الكبابطي أنظر: **سعد الله (أبو القاسم)**: *أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر*، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص ص 11-35.

[18] نفسه، ص ص 20-22.

[19] **DEVOULX (Albert)**: *op. cit.*, p. 123.

[20] **بوحمشوش (نعيمة)**: "مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، مقال منشور في *الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها* سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 2007/1954، ص ص 280-281.

[21] **سعيدوني (ناصر الدين)**: "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، *المجلة التاريخية المغربية*، العدد 57-58، 1990، ص 176.

وجد بها مسجد بدون منارة و مدرسة و زاوية التي تعتبر مأوى للعلماء الفقراء و تتألف من طابقين بهما غرف للإيواء، و دورات للمياه و عيون و أماكن للوضوء، و عدة أماكن للقائمين على الزاوية[22].

خضعت مؤسسة الجامع الأعظم إلى نظام محكم حيث سُيرت من طرف مجموعة من الموظفين يتصدرهم المفتي المالكي الذي كان يمارس مهام الإمام الخطيب أثناء صلاة الجمعة و العيدين، و من موظفيه حامل بندقية المفتي و محضر المفتي، كما تولى تسييره ثلاث وكلاء واحد منهم مكلف بتسيير أوقاف المسجد بشكل عام مع خضوعه المباشر لأوامر المفتي المالكي، الذي يعد الوكيل الرئيسي على هاته الوقفيات من حيث المداخيل و المصاريف، و الوكيل الثاني يتولى الإشراف على أوقاف المؤذنين. أما الوكيل الثالث، فهو مكلف بأوقاف الحزابين. و كل وكيل كان يمارس مهامه بشكل مستقل عن الآخر، كما وُجد عدد من الموظفين القائمين على الشؤون التعليمية و الدينية و هم: 19 أستاذا و 18 مؤذنا و 8 حزابيين، أي الذين يتلون القرآن الكريم، و البعض الآخر كان مكلف بشؤون النظافة و الصيانة هم: 8 يقومون تنظيف المسجد و 3 آخرين يتولون مهمة الجنازة بالمسجد[23].

3. إسهام الجيش الإنكشاري في أوقاف الجامع الأعظم:

شهدت الجزائر منذ ارتباطها بالباب العالي عام 1519م توافد عناصر من الجيش الإنكشاري، كانت أولها القوة العسكرية التي أرسلها السلطان سليم الأول عام 1520م، و ذلك بناء على طلب الوفد الجزائري الذي ترأسه أبي العباس أحمد بن القاضي[24]، و بلغ عددهم 6000 جندي منهم 2000 مدربين و متمرسين على القتال و 4000 متطوع مسلحين بالبنادق[25]، و بعد هذه الدفعة توافد على مدينة الجزائر دفعات متعاقبة من الجيش الانكشاري اختلف عددها من فترة لأخرى حسب ظروف

---

[22] **DEVOULX (Albert)**: *op. cit.*, pp. 122-123.

[23] *Ibid.*, p. 122.

[24] **التميمي (عبد الجليل)**: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغربية*، عدد 16 ، 1976، زغوان، تونس.

[25] **التر (عزيز سامح)**: *الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية*، ط3، ترجمة د. محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1979، ص ص 72- 73.

الإيالة[26]. أما عن أصولهم الإثنية فقد تميزت هي الأخرى بالتنوع بحيث شملت كل المقاطعات العثمانية منها تلك الواقعة في الجزء الأوروبي مثل روم الي (Rumeli) ومورة (Mora) وأدرنه (Edirne) ودموتيكا (Démotika) وصالونيك (Salonique)، ومن مدن بحر إيجه نجد كريت (Crète)، وقبرص (Chypre)، ورودس (Rhodes)، غير أن العدد الأكبر وفد من المدن الأناضولية منها برغمة (Bergama)، إزمير (Izmir)، بورصة، قونية (Konya)، و منمن و غيرها من المدن الواقعة في هذا الجزء[27].

و تمثلت المهمة الأساسية للجيش للإنكشاري في حفظ الأمن في الولاية و صد الحملات الخارجية، كما تعاظم دورهم في الجانب السياسي سواء من حيث احتكارهم للمناصب السامية أو من حيث تدخلهم في تعيين و عزل الحكام، و لم ينحصر دورهم في الجانب العسكري و السياسي فقط بل تعداه إلى باقي الجوانب الأخرى منها الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية حيث ساهموا بمختلف رتبهم في عملية الوقف بنوعيه الذري و الخيري منها الوقف لصالح الجامع الأعظم.

1.3- الإنكشارية:

بلغ عدد وقفيات الجيش على الجامع الأعظم 44 وقفية، أما الواقفين فقد كانوا من رتب مختلفة منها 20 وقفية وردت فيها كلمة الانكشاري غير مقرونة بأية رتبة عسكرية، و من 20 حالة المذكورة وجدنا ستة حالات مقترنة بالنشاط الحرفي الممارس من طرف الواقفون، ففي أواسط ربيع الأول 1115هـ/ جويلية 1703 قام السيد جلابي الانكشاري أمين جماعة الخياطين بن باكير بوقف جلسة حانوت

[26] عن تجنيد المتطوعين و تركيبتهم الإثنية أنظر: **حماش (خليفة)**: "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، *مجلة الآداب و العلوم الإنسانية*، العدد 2، قسنطينة، محرم 1424هـ/ مارس 2003، ص ص 27-46.

COLOMBE (Marcel): « Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue Africaine*, n° 87, 1943, pp. 166-183.

[27] **PARZYMIES (Anna)**: « Contenu ethnique des Odjaq d'Algérie », *Africana Bulletin*, n°29, 1980, p. 103 ; **COLOMBE (Marcel)**: art. cit., pp. 171-172.

بالبادستان داخل محروسة الجزائر على حزابي الحلقة بالجامع الأعظم[28]، و في أواخر صفر 1191هـ/مارس1777م أوقف[29] السيد حسن الانكشاري الجاقماقجي[30] صناعة ابن زروق العينين حوش بوطن بني موسى شطره للمؤذنين بالجامع الأعظم و شطره لأوقاف سُبل الخيرات[31]. كما أوقف محمد الإنكشاري القنداقجي بن سليمان جلسة حانوت مخصصة لضعة القنداقجية[32] قرب القهوة الصغيرة و قرب الحضارين و مرجعه الجامع الأعظم داخل الجزائر المحمية[33].

أما مصطفى الإنكشاري الحفاف بن حمزة فقد أوقف في أواسط محرم 1229 هـ/ديسمبر 1813م حانوتاً مخصصة لصنعة الحفافين قرب باب الجنينة و جعل ريعه لحزابي الحلقة بعد الظهر بالجامع الأعظم[34]. كما أوقف محمد الإنكشاري القزاز بن يوسف في شهر ربيع الثاني 1233هـ/ فيفري 1818م لحزابي الحلقة و للمؤذنين

---

[28] أ. و.ج، و.م.ش، ع 140، و 35.

[29] أ. و.ج، و.م.ش، ع 2/126، و 43.

[30] الجقماقجي هو صناع الأسلحة و بطاريات المسدسات و بائعها.

[31] تعتبر مؤسسة سُبل الخيرات إحدى المؤسسات الخيرية التي انفردت بها مدينة الجزائر دون غيرها من الولايات العثمانية، أسسها الأتراك عام 1584م، و كان الهدف من تأسيسها هو الاهتمام بأوقاف أتباع المذهب الحنفي، و كذا المساجد الحنفية التي كانت تابعة لها... عن هذه المؤسسة و كيفية تسييرها و الأوقاف المُحبسة عليها أنظر:

ZAHRA (Zakia): *D'Istanbul à Alger : La fondation de waqf des Subul al-Khayrāt et ses mosquées hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII^e siècle à la colonisation française)*, thèse pour obtenir le grade de Docteur, Aix-Marseille Université, 12 juillet 2012.

[32] مأخوذة من الكلمة التركية قونداق و تعني سرير المدفع و كعب البندقية، أما جي المضافة فهي أداة النسب إلى الصنعة، عرف بها صانع الأسلحة و بائعها. أنظر: **بركات (مصطفى)**: *الألقاب و الوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات 1517- 1924م*، القاهرة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 2000، ص ص 197-198.

[33] أ. و.ج، و.م.ش، ع 149/148، و 50.

[34] أ. و.ج، و.م.ش، ع 146-147، و 82.

بالجامع الأعظم[35]. و في أواخر جمادى الثانية 1242هـ/جويلية 1826م أوقف السيد محمد الإنكشاري الحرار بن عمر بن إبراهيم حانوتاً بسويقة باب الوادي و حدد مرجعه بجماعة المؤذنين بالجامع الأعظم[36].

قام الحاج المعتمر السيد محمد الانكشاري وكيل باي الغرب في أواخر صفر 1190هـ/مارس 1776م بوقف داراً تقع أعلا باب الجديد سند الجبل داخل محروسة الجزائر على الجامع الأعظم[37]. أما محمود الانكشاري فكان ترجمانا لجماعة السويد، و تمثلت وقفيته في جنة بفحص خنيس في أوائل رمضان 1211/فيفري 1797م و مرجعه حزابي الحلقة وقت الظهر بالجامع الأعظم[38].

وردت ثلاث حالات اقترن فيها اسم الإنكشاري برتبة الأب، الأولى لمحمود الإنكشاري بن السيد علي خزناجي الذي أوقف أواسط محرم 1209هـ/جويلية 1794م، جلسة حانوت قريبة من القهوة الصغيرة، على أن يُعطى من ريعها دينار واحد سلطاني لمن يسقي الماء بالقهوة الكبيرة الكابية خارج الباب الجديد أحد أبواب الجزائر، و ما فضل يؤول لصالح الحُبس و يكون المتصرف في ذلك لمفتي المالكية بالجامع الأعظم، و اشترط أنه في حالة بطلان السقي يعطى ريع الوقف للمؤذنين بالحلقة بالجامع الأعظم[39].

و الثانية لعبد الرحمن الإنكشاري بن القايد محمود الذي أوقف في أواخر شوال 1212 هـ/مارس 1798م حانوت يقع خارج باب عزون أسفل فندق بن تركية على حزابي الحلقة بالجامع الأعظم[40]. أما الثالثة فتتمثل في علوي يقع بزنقة الجير أوقفه السيد حسين الإنكشاري بن مصطفى رايس عرف بالباي و جعل الاستفادة من غلته تنتقل مباشرة لحزابي الحلقة و المؤذنين بمنارة الجامع الأعظم[41].

---

[35] أ. و.ج، و.م.ش، ع 152/151، و 34.

[36] أ. و.ج، و.م.ش، ع 1/24، و 2.

[37] أ. و.ج، و.م.ش، ع 39، و 19.

[38] أ. و.ج، و.م.ش، ع 1/19، و 9.

[39] أ. و.ج، و.م.ش، ع 38، و 31.

[40] أ. و.ج، و.م.ش، ع 87، و 19.

[41] أ.و.ج، م.ش، ع 87، و 33.

و أوقف المكرم السيد أحمد الإنكشاري في أوائل صفر 1228هـ/فيفري 1813م جلسة حانوته الواقعة بكجاوة و يعود ريعها بعد انقراض عقبه مناصفة بين حزابي الحلقة و جماعة المؤذنين بمنارة الجامع الأعظم[42]. و في جمادى الثانية 1236هـ/ مارس1821م، أسس حسن الإنكشاري بن أحمد و زوجته جنات بنت جلول وقفية ذرية مشتركة تتمثل في دار بسوق الكتان و حددا مرجعهما لجماعة المؤذنين وقت الظهر و العصر و الصبح بالجامع الأعظم[43]. و في أوائل شعبان 1241هـ/مارس 1826م استفاد كل من الحزابين و المؤذنين من وقفية أخرى لمصطفى الانكشاري بن علي المتمثلة في ثلث الدار الواقعة قرب الكبايطية[44]. و لنفس المرجع أوقف محمد الانكشاري بن حسين في أوائل ربيع الثاني1243هـ/ديسمبر 1827م، وقف ذري يتمثل في دار تقع أسفل حوانيت بابا أحمد[45]. و بفحص عين الأزرق أوقف أحمد يكيجري جنة سنة 1235هـ/1819-1820م مرجعها جماعة المؤذنين بالجامع الأعظم[46].

حرص بعض الواقفين على استفادة عدة مراجع من وقفياتهم، كما هو الحال بالنسبة لمحمد الإنكشاري بن حسن شهر بن حاجي الذي أوقف في أواسط شعبان 1188هـ/أكتوبر 1774م، داراً واقعة بالرحبة القديمة على جماعة المؤذنين بالجامع الأعظم و على ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي[47]. أما المكرم الحاج خليل الانكشاري بن عثمان فاختار أن يكون ريع وقفيته الذرية التي أسسها في أواسط ذي القعدة 1209/ماي 1795م المتمثلة في داره الواقعة بحومة كوشة علي، مناصفة بين فقراء الحرمين و على المؤذنين بصومعة الجامع الأعظم داخل محروسة الجزائر[48].

و جاءت حالة أخرى اقترنت فيها كلمة الانكشاري بالنسب التركي للواقف و هي للسيد عمر الانكشاري بن مصطفى التركي بن عمر الذي أسس وقفا ذريا في أواخر

---

[42] أ. و.ج، و.م.ش، ع 150، و 70.

[43] أ. و.ج، و.م.ش، ع 151-152، و 70.

[44] أ. و.ج، و.م.ش، ع 150، و 5.

[45] أ. و.ج، و.م.ش، ع 132- 133، و 82.

[46] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[47] أ.و.ج، م.ش، ع 38، و 8.

[48] أ. و.ج، و.م.ش، ع 1/13، و 53.

ربيع الأول 1198هـ/جانفي 1784م يتمثل في جميع المقاسم من جميع البلاد المعروفة بالمريجة من وطن بني موسى على أن يستفيد من ريعها جماعة الحزابين قبل صلاة الظهر بالجامع الأعظم[49]. و اقترن اسم انكشاري آخر بمدينة عنابة حيث أوقف الحاج سليمان العنابي الانكشاري بن عبد الرحمن بن قاطلان خربة (صايرة دار) تقع بحومة عين عبد الله العلج و جعل ريعه للجامع الأعظم[50].

2.3- الأغوات

ساهم الأغوات[51] بسبع وقفيات، حيث أوقف السيد محمد أغا سنة 1041هـ/1631-1632م داراً تقع قرب باب الوادى و مرجعه الجامع الأعظم[52]، و في نفس السنة أوقف المعظم علي أغا بن يلس التركي داراً واقعة قرب باب الوادي أيضا و مجاورة لدار الطبجية و حدد الإستفادة من ريعها لمن يقرأ القرآن صباحا و مساءً بالجامع الأعظم[53]. كما حبس السيد باكير أغا التركي سنة 1052هـ/1642-1643م داراً مع حانوت مستخرجة منها قرب باب الجزيرة و مرجعه الجامع الأعظم[54].

أما علي أغا الذي أسس أولى الوقفيات في أواسط رمضان 1030هـ/أوت 1621م و المتمثلة في دار بسوق الجمعة فقد حدد مرجعه لكل من الجامع الأعظم[55] و مسجد سيدي رمضان[56]. و أوقف محمد أغا بن خضر و زوجه الولية الزهرا بنت

---

[49] أ. و.ج، و.م.ش، ع 126، و 41.

[50] أ. و.ج، و.م.ش، ع 2/13، و 7.

[51] هو القائد العام للجيش البري و هو لقب شرفي يشترط على صاحبه عدم الخروج من مدينة الجزائر أثناء ممارسته لهذه الوظيفة المحددة بشهرين. أنظر:
SHAW (Thomas): *Voyage dans la Régence d'Alger par le Docteur Shaw*, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Tunis, Editions Bouslama, 1980, p. 158.

[52] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[53] أ.و.ج، م.ش، ع 107/106، و 13.

[54] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[55] أ.و.ج، م.ش، ع 39.

[56] يقع مسجد سيدي رمضان في حومة القصبة القديمة و هو مسجد للخطبة، بني قبل قدوم العثمانيين للجزائر. أما عن القائمين عليه فهم وكيل الجامع، و إمام القائم يقوم بدور الخطيب أيضاً، و 5 مؤذنون 3 ليوم الجمعة و 2 لباقي الأيام، و 6 حزّابين و من الموظفين به أيضا ثمانية

محمد آغا داراً و دويرة بحومة البطحا سنة 1048هـ/1639م يرجع ريعها بعد انقضاء المستفيدين مناصفة بين الجامع الأعظم و فقراء المدينة المنورة[57].

و لنفس المرجع أوقف موسى آغا بن خضر التركي في أواسط شوال 1053هـ/1643م عقارين عبارة عن دار و إسطبل عدا البيت المقابل للداخل من الدار بسوق الجمعة[58]. أما محمد آغا بن قاض التركي فقد أوقف في جمادى الثاني سنة 1168هـ/مارس 1755م داراً بحومة حارة السلاوي يعود ريعها بعد انقضاء المستفيدين لصالح الجامع الأعظم[59].

3.3- البلكباشية

ساهم البلكباشية[60] بسبع وقفيات، خمس منها ذرية لصالح الجامع الأعظم تتمثل في تحبيس الحاج إبراهيم بلكباشي بن أوزن علي داراً بحومة الولي الصالح سيدي هلال و كان ذلك في أواسط ربيع الأول 1119هـ/جوان 1707م[61]. و أوقف حسين بلكباشي الآن بن الحاج مصطفى دار بحارة السلاوي في أواسط رجب 1130هـ/ماي 1718[62]، كما أوقف المكرم إبراهيم بلكباشى بن والي التركي داراً واقعة أعلا حوانيت بن رابحة في أواسط رمضان 1144هـ/فيفري 1732[63]، و في أواخر رجب

مقرئيين آخرين خَمسة منهم مُكلفين بقراءة تنبيه الأنام، و واحد مكلف بقراءة صحيح البخاري، و الآخر تولى قراءة كتاب التوحيد، و قارئ أخر مهمته قراءة كتاب سيدي عبد الرحمن، مع عدد من القُراء الثانويين مهمتهم قراءة القرآن الكريم خلال شهر رمضان. أنظر:

DEVOULX (Albert): *op. cit.*, pp.126-128.

[57] أ. و.ج، و.م.ش، ع 89، و 19.

[58] أ. و.ج، و.م.ش، ع 133- 134، و 51.

[59] أ. و.ج، و.م.ش، ع 38، و 11.

[60] هو قائد فرقة مكونة من حوالي 300 انكشاري و كان البلكباشية يتمتعون بعدة اختيارات منها عضويتهم في الديوان... أنظر:

DAN (Pierre): *Histoire de Barbarie et de ses corsaires*, T. 2, Paris, Ed. Carthage, 1968, p. 98.

[61] أ. و.ج، و.م.ش، ع 1/5، و 14.

[62] أ. و.ج، و.م.ش، ع 140، و 20.

[63] أ. و.ج، و.م.ش، ع 148-149، و 12.

1176هـ/ جوان 1763 أسس فيها السيد خليل الإنكشاري بلكباشى شهر بن الشريف وقفاً خيرياً يتمثل في جزء من داره الواقعة قرب كوشة علي[64]، و بفحص القبة أوقفا كل من الزوجين المكرم محمد الإنكشاري البلكباشي المستغانمي بن حسن و الولية آمنة بنت القايد إبراهيم وقفا ذريا في أواخر شعبان 1184هـ/نوفمبر 1770م[65].

أما علي بلكباشي بن سليمان فاختار أن يكون مرجع عناء داره التي أوقفها سنة 1160هـ/1748م لصالح جماعة المؤذنين بالجامع الأعظم، و لنفس المرجع أوقف مصطفى بلكباشي سنة 1207هـ/1793م عناء علوي مع مخزن[66].

4.3- بقية الرتب

ساهم المتقاعدين في الجيش أو المنزول أغا -كما تنعتهم الوثائق- بثلاث حالات، الأولى للمكرم السيد أحمد منزول آغا الحفاف بن محمد الذي أسس وقفاً ذريا في أواخر رجب 1192/جويلية 1778م، يتمثل في شطر جلسة حانوت معدة لصنعة الحفافة الملاصقة لكوشة الجيجلية بسوق التماقين داخل محروسة الجزائر و مرجعه الجامع الأعظم[67]. و الثانية حبسها السيد محمد الإنكشاري منزول آغا بن مصطفى في أواخر ربيع الثاني 1196/مارس 1782م، و تتمثل في ¾ دار قرب القهوة الكبيرة مسامية بانحراف الكوشة الجيجلية محدداً مرجعه بعد انقراض عقبه لجماعة المؤذنين بالجامع الأعظم[68]. أما الثالثة فكانت للمكرم العربي[69] الدباغ منزول أغا بن محمد الذي أوقف في أوائل رجب1197هـ/جوان 1783م ثلثين اثنين من دار واقعة بحدادين باب عزون و يعود مرجعه بعد انقراض ذريته للجامع الأعظم داخل محروسة الجزائر[70].

---

[64] أ. و.ج، و.م.ش، ع 88، و 4.

[65] Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, 1MI, B53, Z124.

[66] أ.و.ج، ب.ب.م، ع 14، س 81.

[67] أ. و.ج، و.م.ش، ع 39، و 63.

[68] أ. و.ج، و.م.ش، ع 134/133، و 77.

[69] يظهر من خلال اسمه "العربي" انتماؤه للعنصر المحلي المنتسب إلى الجيش أو لفئة الكراغلة التي تمكنت في نهاية الفترة العثمانية من الوصول إلى أعلى الرتب في الجيش و الإدارة.

[70] أ.و.ج، م.ش، ع 2/134، 135، و 39.

حضر المجندين الجدد أي اليولداش بوقفية ذرية واحدة أوقفها المكرم علي يولداش بن أحمد في أوائل ربيع الثاني 1223هـ/جوان 1808م، و تتمثل في شطر حانوت أسفل دار الإنكشارية المعروفة أسطى موسى قرب باب الجزيرة و مرجعه الحزابيين الذين يقرؤون الحزب وقت الصباح و المساء بالجامع الأعظم[71].

وردت حالة واحدة يعود تاريخها لأواسط رجب1227/جويلية1812م تضمنت اسم المنطقة و الحرفة التي يمارسها و العاهة التي كان عليها الواقف و هي لعلي الجريتلي البوجاقجي[72] الضرير بن أحمد الذي أوقف شطر جلسة حانوت مقابلة لدار الانكشارية أوسطى موسى لصالح حزابي الحلقة بالجامع الأعظم[73]، و ذكر عقداً آخر النِسبة و الرتبة السابقة للواقف حيث ورد اسمه كما يلي: "...السيد عبد الرحمن التركي باش طبجي ببرج الفنار كان بن سلميان" الذي أوقف جنة في أوائل ذي القعدة 1225هـ/نوفمبر 1810م، و بعد انقراض عقبه يرجع شطرها لأهل أوجاقه القاطنين بالبيت لمعروف ببيت أهجي عواز، و الشطر الآخر يرجع بعد وفاة زوجه نفوسة بنت محمد التركي لحزابي الحلقة بعد الظهر بالجامع الأعظم[74].

كما سجلنا حالة واحدة تضمنت فقط النسب التركي للواقف، حيث أوقف السيد عبد الله التركي بن محمد دار (خربة) أعلا عين الجامع المعلق في أوائل شعبان 1126هـ/أكتوبر 1714م، و بعد انقراض المستفيدين ينتقل مناصفة بين ضريح سيدي منصور[75] و حزابي الحلقة بعد الظهر بالجامع الأعظم[76].

---

[71] أ. و.ج، و.م.ش، ع 149/148، و 55.

[72] صانع السكاكين و بائعها.

[73] أ. و.ج، و.م.ش،ع 146-147، و 81.

[74] أ. و.ج، و.م.ش،ع 47، و 30.

[75] يقع ضريح الولي الصالح سيدي منصور بن محمد بن سالم في شارع باب عزون، و في سنة 1846م قامت فرنسا بتهديم مسجد سيدي منصور و ضريحه مع الأسوار المجاورة له، و على إثرها تم نقل رفاة سيدي منصور و رفاة أفراد عائلته المدفونين معه إلى ضريح سيدي عبد الرحمن... أنظر:

DEVOULX (Albert) : *op. cit.*, p. 202.

[76] أ. و.ج، م. و.م.ش،ع 39، و 8.

أسس السيد مصطفى التركي شاوش العسكر بن علي في أواسط شعبان 1218هـ/أكتوبر 1803م وقفاً ذريا مشتمل على بناء و غرس بجنة بفحص حيدرة، أفردها لجماعة المؤذنين بالجامع الأعظم[77]. و أوقف مصطفى شاوش عناء جنة بفحص تيلاوملي على المؤذنين بالجامع الأعظم سنة 1234هـ/1721م[78]. أما المكرم محمد وكيل الحرج الدخاخني فقد اشترى في أواخر شوال 1212هـ/مارس 1792م جلسة حانوت تقع خارج باب عزون أسفل فندق بن تركية ثم أوقفها و جعل الانتفاع من ريعها لحزابي حلقة الظهر بالجامع الأعظم[79].

توضح المعطيات السابقة أن عقارات الواقفين من الجيش تميزت بكثرتها و تنوعها، حيث اشتملت على 47 ملكًا موزعًا على تسعة عشر داراً و أجزاءً منها و اثنا عشر حانوتاً، و عناء علوي و مخزن، و خربة و اسطبل تواجدت في أماكن مهمة بالمنطقة السفلى منها البادستان، و قرب باب الجنينة، و قرب القهوة الكبيرة و الصغيرة، و بكجاوة، و سوق الكتان، و سوق التماقين، و أيضا بالقرب من دار الإنكشارية أوسطى موسى، و بحومة البطحا، كما أوقف بعضهم عقارات بالمنطقة العليا منها قرب جامع القايد صفر، و بحومة كوشة علي، و سوق الجمعة، و حومة سيدي هلال. و تواجدت عقارات أخرى قرب أبواب المدينة منها باب الجديد، و خارج باب عزون، و بسويقة باب الوادي، و تمركزت أخرى في الفحوص أي في ريف دار السلطان منها فحص القبة، فحص خنيس، فحص حيدرة، فحص تيلاوملي، و فحص عين الأزرق. و شملت على جناين و أحواش و قطع أرضية. كما تواجدت عقارات أخرى بالأوطان منها وطن بني موسى.

و ما يلفت الانتباه التنوع و الدقة في تحديد المستفيدين حيث تم تخصيص 13 وقفية للجامع الأعظم بشكل عام بينما خصصت 10 وقفيات للمؤذنين و 9 وقفيات للحزابيين، و 5 وقفيات مناصفة بين المؤذنين و الحزابين و هو ما يفسر حرص بعض الواقفين على أن يستفيد من أملاكهم الحزابين الذين يتلون كتاب الله في أوقات معينة حسبما حددها الواقف و أيضا المؤذنين الذين ينادون للصلاة دون

---

[77] أ. و.ج، م.و.م.ش، ع 1/18، و 33.

[78] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[79] أ. و.ج، م. و.م.ش،ع 87، و 15.

غيرهم من موظفي المسجد. كما حرص واقفين على أن يستفيد الجامع الأعظم أو المؤذنين و الحزابين بالجامع و مؤسسات أخرى من ريع وقفياتهم ثلاثة منها للجامع الأعظم و الحرمين مع الإشارة إلى أن اثنين منها خصصت مدينة الرسول دون مكة المكرمة، أما الخمس حالات الأخرى فكانت مناصفة بين الجامع الأعظم و سُبل الخيرات، و بيت أهجي عواز الذي كان يقطنها المُحبس، و ضريح سيدي منصور، و ضريح سيدي عبد الرحمن، و جامع سيدي رمضان و هو ما يبين حرص عناصر الجيش على استفادة عدة جهات خيرية أخرى من نفس الوقفية.

أما الواقفون فقد كانوا من رتب مختلفة من إنكشارية و أغوات و بلكباشية و يولداش و شواش و طبجية مع تفاوت في المساهمة من رتبة لأخرى، و تبين تركيبة أسمائهم ممارسة بعض عناصر الجيش لعدة أنشطة حرفية إضافة إلى مهامهم العسكرية منها: القنداقجية، الجقماقجية، الحفافة، بل و تولوا أمانة بعضها مثل الخياطة[80]، قصد تحسين مستواهم المعيشي. تجدر الإشارة إلى أن هذه الوقفيات أغلبها كانت ذرية ما عدا ثلاث وقفيات جعلت الانتفاع يؤول مباشرة للمرجع و هو ما يعرف بالوقف الخيري.

4. أوقاف الدايات و الموظفون الإداريون على الجامع الأعظم

1.4- الدايات

بدأت مرحلة الدايات سنة 1671 و استمرت إلى غاية 1830، فمن حيث المبدأ كان تعيين الداي في منصبه يتم عن طريق الانتخاب بحضور أغا العسكر و كاهيته و كافة أعضاء الديوان و المفتيين و القضاة و أعيان الناس، غير أن الواقع كان أكثر تعقيدا فاختيارهم كان يتم من طرف الجيش الانكشاري الذي تعاظم دوره في التدخل في السلطة فأصبح يعين و يعزل من يشاء و بذلك كثرة الاغتيالات في صفوف الدايات[81]، و في أغلب الأحيان كان يتولى هذا المنصب ثلاث شخصيات سامية في

[80] عن ممارسة الجيش النشاط الحرفي، أنظر: **غطاس (عائشة)**: المرجع السابق.

[81] **الزهار (الحاج أحمد الشريف)**: *مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246/1754-1830*، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1980، ص 23.

الإيالة و هم الخزناجي و خوجة الخيل، و أغا العرب[82]، و عندما تنتهي عملية التنصيب يكلف مبعوث يسمى بأغا الهدية بالذهاب إلى الباب العالي للإخبار بوفاة الداي القديم و قيام الديوان بانتخاب الحاكم الجديد[83]، كما يُرسل الباب العالي رموز السلطة الشرعية المتمثلة في فرمان التعيين و السيف و القفطان[84].

احتكر الأتراك منصب الداي و مختلف الوظائف السامية طوال الفترة العثمانية فكانوا يبدؤون مشوارهم في الجزائر جنودا قصد الحصول على الثروة و المسؤوليات، و عندما يتقدمون في السن يصبح بإمكانهم الوصول إلى مختلف المراتب العليا، بما في ذلك منصب الداي[85].

يعتبر الداي صاحب السلطة المطلقة فهو المشرف على حصون المدينة، و تنظيم الجيوش، و مراسلة القبائل المختلفة لتهدئتها و المحافظة على الأمن في الإيالة، و تعيين الوزراء و غيرهم من أعضاء حاشيته[86]، كما يقوم بعزل البايات و يتم ذلك بواسطة إرسال تعليماته إلى أغا المركز أو الحامية ليضع حدا لسلطته[87].

لم تقتصر مهام الدايات على الجانبين السياسي و العسكري بل شملت الناحية الاجتماعية من خلال إسهامهم في الأوقاف لصالح جهات مختلفة منها: الحرمين الشريفين و المساجد، و الثكنات و العيون و السواقي و مختلف المرافق العامة[88]، و قد حظي الجامع الأعظم بأربعة وقفيات للدايات و هي رغم قلتها فإنها

---

[82] **VENTURE DE PARADIS (Jean-Michel)**: *Tunis et Alger au XVIII^e siècle*, Mémoires et observations rassemblés et présentés par Joseph Cuoq, Paris, Sindbad, 1983, p. 204.

[83] **خوجة (حمدان بن عثمان)**: *المرآة*، تقديم و تعريب و تحقيق د. محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005، ص 94.

[84] **شالر (وليام)**: *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)*، تعريب و تقديم إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982، ص 43.

[85] **خوجة (حمدان بن عثمان)**: المصدر السابق، ص 94.

[86] نفسه: ص 87.

[87] نفسه: ص 99.

[88] عن إسهام الدايات في الأوقاف أنظر **أمير (يوسف)**: *أوقاف الدايات بمدينة الجزائر و فحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1081هـ-1246هـ/1671م-1830م*، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، السنة الجامعية، 2009م/2010م.

تبين مدى احترامهم للجامع الأعظم المالكي المذهب.

ففي أوائل شهر رمضان 1088هـ/1677م أوقف أول داي و هو الداي محمد التريكي (1671-1682) الذي أوقف دار استجد بناؤها تقع قرب باب الوادي و قد جعل مدخول كرائها لأربعة طُلبة يقرؤون القرآن بالجامع الأعظم صباحا و مساء و يكون نصيب كل واحد منهم نصف ريال في كل شهر و نفس القيمة تعطى لثلاثة قراء يقرؤون سورة الإخلاص وقت الزوال[89]، أما الداي إبراهيم باشا (1732-1745) فقد أسس ثلاث وقفيات لصالح الجامع الأعظم الأولى حبسها في أواسط جمادى الثانية سنة 1143هـ/1730م، و تتمثل في رقعة تقع برأس تافورة خارج باب عزون، و من خلال تاريخ عقد الوقفية يظهر أنه أسسها قبل توليه منصب الداي بسنتين. أما الثانية فقد أسسها في رجب 1153هـ/نوفمبر 1740م و أوقف خلالها رقعتين تقعان بفحص أقنان خارج باب الوادي[90]، وفي كلتا الوقفيتين حدد مرجعه بالجامع الأعظم. و تتمثل الوقفية الثالثة في بحيرة تقع ببئر الزرجونة خارج باب عزون و جعل مردودها لأربعة طُلبة يقرؤون الحزب بعد صلاة العصر داخل الجامع الأعظم على أن يقرأ كل واحد منهم ختمة واحدة في كل شهر أي حزبين في كل يوم، و يعطى لكل واحد من كرائها ثلاثة أرباع الريال في كل شهر. و ما تبقى من الكراء يصرفه الإمام على مصالح المسجد[91].

2.4- الموظفون الإداريون

حظي الجامع الأعظم باهتمام الموظفين الإداريين بمختلف مناصبهم نذكر منهم السيد علي أغا الصبايحية كان[92] الذي أوقف في أواسط ذي الحجة 1225هـ/ديسمبر

---

[89] Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence, 1MI, B46, Z100.

[90] س م ش، ع 1/42، و 23.

[91] س م ش، ع 55، و 20.

[92] أغا الصبايحية يعتبر ثاني منصب سامي بعد الخزناجي، و يعتبر القائد الأعلى لكل فرق ولاية الجزائر سواء كانوا يمثلون الفرسان أو المشاة و بخروجه من مدينة الجزائر يحمل لقب ملك الأرياف، حيث شملت سلطته رقعة جغرافية واسعة امتدت من بوحلوان إلى يسر، و يعمل تحت أوامره سبع قادة يشرفون على الأوطان. تعددت مهام أغا الصبايحية أهمها الإشراف على فرق الفرسان و على شؤون الأهالي و ترأس الحملات الموجهة لتأديبهم و إخضاعهم للسلطة. أنظر:

1810م على جماعة المؤذنين و جماعة الحزابين بالجامع الأعظم[93]. أما الخواجات فقد كانت مساهمتهم بارزة خاصة في نهاية الفترة العثمانية منهم باكير خوجة بن والي التركي الذي أسس في أواخر جمادى الثانية 1133هـ/مارس1721م وقفا خيريا يتمثل في دارا تقع قرب الجامع المعلق يرجع ريعه لأربعة طُلبة يقرؤون الحزب عند باب الجنايز بالجامع الأعظم ختمتين من القرآن لكل واحد في الشهر أربعة أحزاب كل يوم[94].

و لصالح الجامع الأعظم حبّس حسين خواجة حانوتاً قرب الرحبة القديمة، و حبّس إبراهيم خواجة التركي حانوتا بالصاغة، و أوقف يوسف خواجة جلسة حانوت بفندق يني مسلمان. و ساهم صالح خوجة بعناء دار بقاع السور. أما الحاج محمد خواجة فأوقف جنة بفحص بير الدروج[95]. كما حبّس يوسف خوجة بدار الإمارة حانوتا يقع قرب باب الجزيرة سنة 1230هـ/1815م و حدد مرجعه لقُراء الحزب بالجامع الأعظم[96]، و أوقف محمد خوجة وكيل أوقاف الحرمين الشريفين بن إبراهيم التركي وقفا خيريا عبارة عن حانوت معدة لصنعة الحرارين يقع قرب دار الأمارة تؤول لجماعة للمؤذنين و الحزابين بالجامع الأعظم مناصفة بينهما، و كان ذلك في أواسط ربيع الأول 1233هـ/جانفي 1818م[97]. و لنفس المرجع أوقف الحاج يوسف خوجة رقمجي داره الواقعة قرب بن جاور علي[98].

VALLIÈRE (Césaire-Philippe) : *L'Algérie en 1781, Mémoire du consul Césaire-Philippe Vallière*, présentation de Lucien Chaillou, Toulon, Valbertrand, 1974, p. 5 ; **DEVOULX (Albert)** : *Tachrifat. Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852, p. 28.

الزهار (الحاج أحمد الشريف): المصدر السابق، ص 48-49.

[93] أ.و.ج، م.ش، ع 145.

[94] أ.و.ج، م.ش، ع 38، و 23.

[95] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[96] أ.و.ج، م.ش، ع 38، و 3.

[97] أ.و.ج، م.ش، ع 134/2- 135، و 36.

[98] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

5. النساء

ساهمت النساء بمختلف انتماءاتهن الاجتماعية في الوقف للجامع الأعظم نذكر منهن أمنة التركمانية[99] بنت أوسط أحمد التي أوقفت في أواسط ذي القعدة 1153هـ/جانفي1741م جميع دارها الواقعة بحارة سيدي محمد بن سالم على طالبين اثنين يقرأنِ حزبين اثنين كل يوم ختمة واحدة لكل منهما ينتفع بها الجامع الأعظم[100]. و من بنات الخواجات نذكر فاطمة بنت إبراهيم خوجة التي أسست في أواخر جمادى الأولى 1121هـ/جويلية 1709م وقفية ذرية تتمثل في دار تقع بحومة سيدي الجربي و بعد انقراض المستفيدين يرجع للجامع الأعظم[101]، و من الواقفات أيضا أمنة بنت حسين خواجة سنة 1140هـ/1728م، و فاطمة بنت أحمد خواجة التي أوقفت دارا تقع قرب سيدي رمضان و مرجعها الجامع الأعظم، أما حنيفة بنت مصطفى خواجة فقد حددت مرجع وقفيتها المتمثلة في عناء دار بزنقة العطش للحزابين و المؤذنين بالجامع الأعظم[102].

6. التعايش بين المذهبين الحنفي و المالكي

تُبين الوقفيات السابقة الذكر مساهمة العثمانيون من جيش و رياس و حكام و موظفون إداريون و بنات الخواجات في الوقف لصالح المجامع الأعظم المالكي المذهب، مع تسجيل تزايد لهذه المساهمة من النصف الثاني للقرن الثامن عشر إلى بداية القرن التاسع عشر. و يمكن تفسير الاهتمام المتزايد للعثمانيين بالجامع الأعظم في الفترة المتأخرة من تاريخ الإيالة بمحاولة التقرب أكثر من العنصر المحلي و جامعهم الأعظم المالكي المذهب، خاصة و أن الفترة عرفت قيام عدة تمردات ضد العثمانيين، و مهما كانت نوايا و أغراض الواقفون فان مساهمة واقفون ينتمون إلى المذهب الحنفي لصالح الجامع الأعظم المالكي المذهب رغم تعدد المساجد الحنفية و وجود

---

[99] تنتمي إلى منطقة تركمانيا الواقعة ما بين تركمانستان و شمال شرق إيران و شمال غرب أفغانستان، كانت إحدى المقاطعات التابعة للدولة العثمانية.

[100] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

[101] أ.و.ج، م.ش، ع 88.

[102] أ. و.ج،.ب.م، ع 14، س 81.

مؤسسة سُبل الخيرات، يدل أيضا على مدى التسامح الديني[103] للعثمانيين و ضآلة إحساسهم بالتفوق على المستوى الديني مقارنة ببروز تفوقهم على المستوى السياسي و الاجتماعي[104].

و الملاحظ من خلال عقود التحبيس الخاصة بالعثمانيين أنهم أوقفوا أملاكهم طبقًا لأحكام المذهب الحنفي[105]، حيث نقرأ في أغلب العقود ما يلي :"...أشهد شهديه على نفسه (الواقف) أنه حَبّس لله تعالى جميع (الملك)... ينتفع بغلته مدة حياته مقلداً في ذلك بعض أئمة مذهب إمامه أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه"، و أنه لمن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن اختيار العثمانيون وقف أملاكهم لما يقتضيه المذهب الحنفي لا يحمل نظرة تعصب لمذهبهم لكونهم هم من جلبوه للجزائر، بل أن السبب يعود أساسا للمرونة التي يتميز بها في مجال الوقف مقارنة بالمذهب المالكي، حيث يمنح المذهب الحنفي للواقف حق الانتفاع بالشيء الموقوف قبل انتقال الاستحقاق إلى الورثة، و يمنح للواقف حق عدم توريث البنات من أية طبقة. أما المذهب المالكي فلا يسمح للواقف بالتحبيس على النفس، كما أنه يمنع المُحَبس من إقصاء إناث الطبقة الأولى فقط[106].

---

[103] اشتهر العثمانيون بسياسة التسامح الديني حتى مع الطوائف الدينية غير المسلمة سواء في مركز الخلافة العثمانية أو في مختلف المناطق التابعة لها، فما بالنا إذا تعلق الأمر بالجامع الأعظم ... عن سياسة التسامح الديني للعثمانيين أنظر: **عزوزي (حسن)**: "ملاحظات حول مسألة التسامح الديني في العهد العثماني"، *بحوث المؤتمر الدولي حول العلم و المعرفة في العالم العثماني*، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول (أرسيكا)، 2000، ص ص 343-373.

[104] **التميمي (عبد الجليل)**: " وثيقة عن الأملاك المحبسة...."، مرجع سابق، ص 166.

[105] الوقف عند الحنفية هو حبس العَين على مُلك الواقف و التبرع بريعها لجهة الخير التي حددها أو سماها. و يتضح من خلال تعريف أبي حنيفة أن المال الموقوف لا يخرج عن مُلك واقفه و يمكنه حق التصرف فيه مادام حياً سواء بالبيع أو الرهن أو الهبة أو الوصية، كما أن الوقف في نظره هو التبرع بالمنفعة و من ثمة فهو تصرف غير لازم. أنظر: **السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل)**: *كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي*، ج11، بيروت-لبنان، دار المعرفة، 1414هـ/1993ص27؛ **السريتي (عبد الودود محمد)** : *الوصايا و الأوقاف و المواريث في الشريعة الإسلامية*، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1997م، ص 161.

[106] **FERCHIOU (Sophie)**: « Catégorie des sexes et circulation des biens habous », in *Hasab wa nasab : parenté, alliance et patrimoine en Tunisie*, sous la direction de Sophie Ferchiou, Paris, Ed. CNRS, 1992, p. 255.

التميمي (عبد الجليل): "إشكاليات نظام التحبيس و تداعياته في المجتمعات المغاربية خلال العصر

هذه المرونة في الأحكام جعلت المذهب الحنفي أكثر استعمالاً ليس فقط من قبل المنتمين إليه من حكام و موظفين ساميين و جيش، بل حتى من طرف المحليين أتباع المذهب المالكي[107]، نذكر منهم السيد أحمد بن المرحوم السيد محمد بن المبارك مفتي المالكية كان الذي أسس وقفية ذرية في أواخر رجب عام 1193هـ/جويلية 1779م تتمثل في دار بحومة كوشة علي وفق شروط المذهب الحنفي[108]. و أيضا وقفية السيد علي البلاغجي صناعة ابن عطية المستغانمي[109]، و وقفية أسيا بنت السيد أحمد بن المقفولجي[110]. هذه الحالات و غيرها تبين نجاح العثمانيين في إدخال مضامين جديدة مستمدة من التشريعات الحنفية التي كانت أكثر ملائمة و طواعية لذهنية و سلوك الناس اليومي[111].

و ودت حالات أخرى توجه فيها الواقفين إلى المحكمة المالكية لتدوين عقود أوقافهم التي كانت وفق أحكام المذهب الحنفي منها: عقد تحبيس سليمان أغا بن عمر التركي الذي تضمن ما يلي : "...حضر الآن بمحضر شهديه بالمحكمة المالكية من البلد المذكور أمام من يجب سليمان أغا المذكور و أشهدهما على نفسه أنه حَبّس لله تعالى جميع الدار المذكورة ينتفع بغلتها مدة حياته مقلدا في ذلك مذهب إمامه أبي

الحديث"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 106، زغوان، فيفري-شباط 2002، ص 13.

[107] و الظاهرة ذاتها عرفتها إيالة تونس أيضا فمن بين 328 وقفية مسجلة بتونس 6 منها فقط، أسسوا عقودهم بناء على أحكام المذهب المالكي؛ أي أن معظم الواقفون فضّلوا الأخذ بأحكام المذهب الحنفي في عقود أوقافهم تخلصا من القيود التي يفرضها عليهم المذهب المالكي... أنظر:
FERCHIOU (Sophie): *op. cit.*, p. 255.
قاسم (أحمد): "الوقف في تونس في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر"، *منشور في الوقف في العالم الإسلامي أداة سلطة اجتماعية و سياسية*، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، 1995، ص ص 7-8؛ **السعداوي (أحمد)**: "المدينة و الوقف في تونس القرن السابع عشر من خلال وثائق الأوقاف"، *العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية و المتوسطية*، الرباط، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس أكدال، 2005، ص 106.

[108] أ.و.ج، و.م. ش، ع 1/13، و 45.

[109] أ.و.ج، م. ش، ع 32، و 47، مكررة و 55.

[110] أ.و.ج، م. ش، ع 1/28، و 98.

[111] **التميمي (عبد الجليل)**: "إشكاليات..."، مرجع سابق، ص 12.

حنيفة النعمان رضي الله عنه..."[112]. و السيد محمد مبارك مفتي المالكية كان في ربيع الأول 1187هـ/ماي 1773م و التي ورد فيها ما نصه "بعد أن خلص للمعظم الأجل الزكي الأفضل العالم الأشمل السيد أحمد بن العالم العلامة المجد الفهامة سيدي محمد بن المبارك مفتي المالكية كان المذكور في الرسم المحوط هذا به جميع الدار الكاينة قرب ضريح الشيخ البركة المتبرك به سيدي رمضان نفعنا الله به أمين و بحومة القصبة القديمة سند الجبل...حضر بمحضر شهديه و بالمحكمة المالكية إمام الشيخ الفقيه العالم العلامة النزيه الصدر الأوحد الوجيه قاضي المالكية و محرر القضايا الدينية بالجزائر المحمية بالله تعالى حين التاريخ و هو الطاهر بن محمد وفقه الله ... و قلده السيد أحمد المذكور و أشهدهما على نفسه أنه حَبّس و وقف لله تعالى جميع الدار المذكورة ابتداء على نفسه ينتفع بغلتها أو سكناها مدة حياته مقلداً في ذلك بعض أئمة مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه"[113]. أما مرجعه فكان للحرمين الشريفين، و المؤذنين بالجامع الأعظم، و على مسجد سيدي رمضان.

تُعد هذه الوقفية نموذجا واضحا للتعايش المذهبي السائد وقت ذاك فالواقف ينتمي لعائلة ابن مبارك التي تولت و توارثت الإفتاء المالكي بالجامع الأعظم، و اختار محكمة مذهبه لتدوين عقد وقفيته مع اعتماد شروط المذهب الحنفي في الوقف، و من بين المستفيدين من وقفيته مسجدين مالكيين هما المؤذنين بالجامع الأعظم، و مسجد سيدي رمضان. و هي ممارسة تبين أن المحكمة المالكية لم تفرض أية عراقيل على المتوجهين إليها لتسجيل عقود أوقافهم وفق أحكام المذهب الحنفي، و هو ما يعكس التوافق، التسامح الديني و التعايش بين المذهبين الحنفي و المالكي.

خاتمة:

صفوة القول أن العثمانيين رغم أنهم يمثلون السلطة الحاكمة و ما تفرضه هذه الوضعية من تركيز اهتمامهم على كل من المجال العسكري و السياسي، إلا أنهم أسهموا في المجال الاجتماعي، الاقتصادي و الثقافي. فعائدات كراء العقارات الموقوفة على الجامع الأعظم، كانت مصدر مالي ساهم في استمرار نشاط الجامع الأعظم و

[112] أ.و.ج، م. ش، ع 50، و 52.

[113] أ.و.ج، و.م. ش، ع 2/27، و 14.

مواصلة تأديته لوظائفه الدينية و التعليمية و الثقافية خلال الفترة العثمانية، خاصة و أن السلطة لم تخصص ميزانية معينة للإنفاق على مختلف المؤسسات الدينية بما في ذلك الجامع الأعظم، بل تركت ذلك للمبادرات الفردية.

ولعل أهم ما يمكن استنتاجه من العينة المعتمدة هي مسألة التعايش بين المذهب الحنفي مذهب السلطة الحاكمة و المذهب المالكي مذهب الأهالي من حضر و برانية. و الواقع أن استغلال و توظيف الرصيد العثماني سيسمح بعرض نماذج أخرى عن التعايش المذهبي و يوضح السياسة الدينية للعثمانيون في الجزائر. و بالتالي إعادة تقييم الأدوار التي قاموا بها في الجزائر.

قائمة المصادر و المراجع

باللغة العربية:

-الأرشيف الوطني الجزائري، وثائق المحاكم الشرعية

العلبة1/5 الوثيقة 14؛ العلبة 1/13الوثيقة 45، 53؛ العلبة 2/13 الوثيقة 7؛ العلبة 1/18 الوثيقة 33؛ العلبة1/19 الوثيقة 9؛ العلبة1/24 الوثيقة2؛ العلبة 2/27الوثيقة 14؛ العلبة 1/28الوثيقة 98؛ العلبة 32الوثيقة 47؛ العلبة 38 الوثيقة 3، 8، 11، 31؛العلبة 39؛الوثيقة 8، 19، 63؛العلبة 1/42 الوثيقة 23؛العلبة 47 الوثيقة 30؛ العلبة 50 الوثيقة 25؛ العلبة 55 الوثيقة 20؛ العلبة 87 الوثيقة 15؛العلبة 89 الوثيقة 19؛ العلبة 107/106 الوثيقة 13؛ العلبة 2/126 الوثيقة 43؛ العلبة 87 الوثيقة 19، 33؛ العلبة 88 الوثيقة 4؛ العلبة 132-133 الوثيقة 82؛ العلبة 133- 134 الوثيقة 51، 77؛ العلبة 134/2-135 الوثيقة 36، 39؛ العلبة 140، الوثيقة 35؛ العلبة 146-147 الوثيقة81، 82؛ العلبة 149/148 الوثيقة 12، 50، 55؛ العلبة 150 الوثيقة 8؛ العلبة 152/151 الوثيقة 34، 70.

-الأرشيف الوطني الجزائري، سجلات البايلك و المال

العلبة 14 السجل 81.

- Archives d'Outre-Mer, Aix-en-Provence

B46, Z100. B53, Z124.

-**إلتر (عزيز سامح)**: *الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية*، ط3، ترجمة د. محمود علي عامر، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1979.

-**التمجروتي (علي إبن محمد)**: *النفحة المسكية في السفارة التركية*، تقديم و تعليق سليمان الصيد، تونس، دار بوسلامة للطباعة و النشر و التوزيع.

-**التميمي (عبد الجليل)**: "وثيقة عن الأملاك المحبسة باسم الجامع الأعظم"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 05، 1980، 154-195.

-**التميمي (عبد الجليل)**: "أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519"، *المجلة التاريخية المغربية*، عدد 16، 1976، زغوان ، تونس، 116-120.

-**التميمي (عبد الجليل)**: "إشكاليات نظام التحبيس و تداعياته في المجتمعات المغاربية خلال العصر الحديث"، *المجلة التاريخية المغاربية*، العدد 106، فيفري-شباط 2002، 9- 23.

-**الجيلالي (عبد الرحمن)**: "مدى مساهمة الجامع الكبير في الأحداث الدينية و الثقافية و القضائية في مدينة الجزائر خلال نهاية العهد التركي"، *حقائق مدينة الجزائر*، عدد 18، 1884.

-**الجيلالي (عبد الرحمن)**: "الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا و تاريخيا"، *مجلة الأصالة*، العدد 8، الجزائر، 1972، 113-127.

-**الزهار (الحاج أحمد الشريف)**: *مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر، 1168-1246/1754-1830*، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط2، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1980.

-**السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل)**: *كتاب المبسوط لشمس الدين السرخسي*، ج11، بيروت- لبنان، دار المعرفة، 1414ه/1993.

-**السريتي (عبد الودود محمد)**: *الوصايا و الأوقاف و المواريث في الشريعة الإسلامية*، ط1، بيروت، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1997م.

-**الوزان (حسن)**: *وصف إفريقيا*، ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1989.

-**أمير (يوسف)**: *أوقاف الدايات بمدينة الجزائر و فحوصها من خلال سجلات المحاكم الشرعية 1081هـ-1246هـ/1671م-1830م*، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في

التاريخ الحديث، جامعة الجزائر -2- أبو القاسم سعد الله، السنة الجامعية، 2009م/2010م.

-**بركات (مصطفى)**: *الألقاب و الوظائف العثمانية دراسة في تطور الألقاب و الوظائف منذ الفتح العثماني لمصر حتى إلغاء الخلافة العثمانية من خلال الآثار و الوثائق و المخطوطات 1517-1924م*، القاهرة، دار غريب للطباعة و النشر و التوزيع، 2000.

-**بوحمشوش (نعيمة)**: "مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر"، *منشور في الدولة الجزائرية الحديثة و مؤسساتها سلسلة المشاريع الوطنية للبحث*، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 2007/1954، 279-294.

-**بوحمشوش (نعيمة)**: *الجامع الأعظم بمدينة الجزائر خلال القرنيين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي من خلال وثائق الأوقاف*، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر، 2013-2014.

-**حماش (خليفة)**: "تجنيد المتطوعين للجيش الجزائري في أقاليم الدولة العثمانية في أواخر العهد العثماني"، *مجلة الآداب و العلوم الإنسانية*، العدد 2، قسنطينة، محرم 1424هـ/ مارس 2003، 27-46.

-**خوجة (حمدان بن عثمان)**: *المرآة*، تقديم و تعريب و تحقيق د. محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005.

-**سعد الله (أبو القاسم)**: *أبحاث و أراء في تاريخ الجزائر*، ج2، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986.

-**سعداوي (أحمد)**: "المدينة و الوقف في تونس القرن السابع عشر من خلال وثائق الأوقاف"، *العثمانيون في المغارب من خلال الأرشيفات المحلية و المتوسطية*، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، جامعة محمد الخامس أكدال، 2005.

-**سعيدوني (ناصر الدين)**: "موظفو مؤسسة الأوقاف بالجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال وثائق الأرشيف الجزائري"، *المجلة التاريخية المغربية*، العدد 57-58، 1990، 175-192.

-**شالر (وليام)**: *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816-1824)*، تعريب و تقديم إسماعيل العربي، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1982.
-**عزوزي (حسن)**:"ملاحظات حول مسألة التسامح الديني في العهد العثماني"، *بحوث المؤتمر الدولي حول العلم و المعرفة في العالم العثماني*، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية باستانبول (أرسيكا)، 2000، 343- 373.
-**غطاس (عائشة)**: *الحرف و الحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830، مقاربة اجتماعية، اقتصادية*، الجزائر، منشورات ANEP، 2007.
-**قاسم (أحمد)**: "الوقف في تونس في القرنين الثامن عشر و التاسع عشر"، *منشور في الوقف في العالم الإسلامي أداة سلطة اجتماعية و سياسية*، دمشق، المعهد الفرنسي للدراسات العربية في دمشق، 1995، 7-55.

باللغة الأجنبية:

-**AUMERAT (M. M.)**: « La propriété urbaine à Alger », *Revue Africaine*, N°41, 1897, 321-330.
-**COLOMBE (Marcel)**: « Contribution à l'étude du recrutement de l'Odjak d'Alger dans les dernières années de l'histoire de la Régence », *Revue Africaine*, n° 87, 1943, 166-183.
-**DAN (Pierre)**: *Histoire de Barbarie et de ses Corsaires*, T. 2, Paris, Ed. Carthage, 1968.
-**DEVOULX (Albert)**: *Tachrifat recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne Régence d'Alger*, Alger, Imprimerie du Gouvernement, 1852.
-**DEVOULX (Albert)**: *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Alger, typographie Bastide, 1870.
-**FERCHIOU (Sophie)** :« Catégorie des sexes et circulation des biens habous », *Hasab wa nasab : parenté, alliance et patrimoine en Tunisie,* sous la direction de Sophie Ferchiou, Paris, Ed CNRS, 1992, 251- 270.
-**PARZYMIES (Anna)**: « Contenu ethnique des Odjaq d'Algérie », *Africana Bulletin*, n°29, 1980, 97-108.
-**RAYMOND (André)**: « Le centre d'Alger en 1830 », *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, n°31, Septembre 1981, 73-84.
-**SHAW (Thomas)**: *Voyage dans la Régence d'Alger par le*

Docteur Shaw, traduit de l'anglais par J. Mac Carthy, Tunis, Editions Bouslama, 1980.

-**VALLIÈRE (Césaire Philippe)**: *L'Algérie en 1781*, Mémoire du consul Césaire Philippe Vallière, présentation Lucien Chaillou, Toulon, Valbertrand, 1974.

-**VENTURE DE PARADIS (Jean Michel)**: *Tunis et Alger au XVIII^{e} siècle*, Mémoires et observations rassemblées et présentés par Joseph Cuoq, Ed. Sindbad, Paris, 1983.

-**ZAHRA (Zakia)**: *D'Istanbul à Alger : La fondation de Waqf des Subul al-khayrāt et ses mosquées Hanéfites à l'époque ottomane (du début du XVIII^{e} siècle à la .colonisation française)*, thèse pour obtenir le grade de Docteur, d'Aix-Marseille Université, 12 juillet 2012.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 3 العدد: 1 ص ص 37-58
ر ت م د (ISSN) : 2800-1184
تاريخ الإرسال (2023/06/14) تاريخ القبول (2023/06/27) تاريخ النشر(2023/06/30)

سفينة الشبّاك.
اعتبارات جديدة تتعلّق بأصلها و خصائصها و انتشار استخدامها

The xebec. New considerations related to its origin, characteristicsand widespread use

محرز أمين
جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
البريد الإلكتروني : a.mahrez@univ-dbkm.dz

ملخص:

يعدّ الشبّاك من النماذج البحرية القليلة الّتي بوسعنا التباهي بأنّه تمّ تطويرها في ترسانات إيالة الجزائر. و يبقى الأمر اللافت للانتباه فيما يخصّ هذه السفينة، الّتي اعتبرها الأوروبيون إحدى سفن القرصنة، إن لم نقل سفينة قرصنة الدول البربرية (États Barbaresques) بامتياز، أنّ أصلها و ظروف إنشائها لا يزالان يكتنفهما الغموض، نتيجة تضارب رؤى المختصّين في هذا الصدد.

لأجل ذلك، نسعى من خلال دراستنا إلى تسليط الضوء على أصول الشبّاك و الأسباب الّتي جعلته يتطوّر إلى الشكل الرشيق و الخفيف للغاية، الّذي سيتّخذه آخر المطاف في غضون القرن الثامن عشر، جاعلاً منه مركبا استثنائيا من حيث سرعة الإبحار و قابلية المناورة و القدرة على الإفلات في ذات الآن.

و تلك الخصائص الّتي ميّزتها عن باقي سفن ذاك الوقت، ستكفل اعتمادها من قبل بحريات عدّة دول أوروبية حتّى أواسط القرن التاسع عشر، على اعتبار أنّها كانت من أحسن مراكب البحر الأبيض المتوسّط المخصّصة للحرب.

الكلمات المفتاحية:

الشبّاك ؛ البحر الأبيض المتوسّط ؛ القرصنة ؛ البحرية الجزائرية ؛ صناعة السفن.

Abstract:

The Xebec (Chebec) is one of the few marine models that we can boast of having been developed in the arsenals of the Eyalet of Algiers. The remarkable thing about this ship, which Europeans

considered one of the corsairships, if not the Barbary States privateering ship par excellence, remains that its origin and the circumstances of its creation are still shrouded in mystery, as a result of the conflicting visions of specialists in this regard.

For this reason, we seek through our study to shed light on its origins and the reasons that made it develop into the very agile and light form, which it would eventually take in the course of the XVIIIth century, and making it an exceptional boat in terms of sailing speed, maneuverability and the ability to escape at the same time ; these characteristics that distinguished it from the rest of the ships of that time, would ensure its adoption by the navies of several European countries until the middle of the XIXth century, given that it was one of the best ships in the Mediterranean Sea intended for war.

Keywords:
Xebec; Mediterranean Sea; Privateering; Algerian Navy; Shipbuilding.

التوطئة:

"تُطارد الأيائل بالكلاب السُلوقية و ليس بكلاب الدرْواس ؛ فإذا كانت هذه الأخيرة جيّدة لحراسة المنازل و الدفاع عنها، فالأولى أفضل للجري في السهول" (خير الدين بربروس).

« On force les cerfs avec des lévriers et non avec des molosses ; si ceux-ci sont bons pour garder et défendre les maisons, les premiers sont meilleurs pour courir dans les plaines » (Khaïreddine Barberousse).

يلخّص لنا هذا القول المنسوب إلى مؤسّس الجزائر الحديثة، خير الدين بربروس، الفلسفة الّتي اتّبعها متوّلو البحرية الجزائرية من بعده في صناعة السفن ؛ إذ كان السرّ وراء النجاح الّذي وصلت إليه عمليات القرصنة لدى الجزائريين استعمالهم لطرز سفن أصغر و أكثر رشاقة من نظيرتها الأوروبية و حتّى العثمانية، بحيث كانت تتميّز بخفّتها و قدراتها العالية على المناورة. و نضرب على ذلك مثالاً سفن القادرغة أو الشيني (Galère)، و هي سفن تجديفية كبيرة - رغم أنّها قد تحمل صاريًا أو اثنين – و يتراوح طولها من 35 إلى 50 مترًا كونها تضمّ أزيد من 21 صفّ مجدّفين، علمًا أنّ نسبة الطول إلى العرض هي سبعة إلى واحد على وجه التقريب[114]. ففيما كانت الشواني الأوروبية ذات صاريين مزوّدة بعدد أكبر من قطع المدفعية و مثقلة بالذخيرة و المؤن و المعدّات المتنوّعة إلى جانب وجود مكثّف للزخارف على بدنها، و لا سيّما المقصورة ذات العلو المفرط في مؤخّرتها -ممّا كان يفضي بالتأكيد إلى تقليل سرعتها-، كانت السفن الجزائرية من نفس الطراز صغيرة الحجم نسبيًا، ذات صاري واحد فقط، و مسلّحة بمدفع واحد إلى ثلاث مدافع متنقّلة كحدٍّ أقصى، كما كانت تخلو من مقصورة أو بالأحرى مصطبة أمامية. و علاوةً على ذلك، لم يكن المركب الجزائري

[114] **JAL (Augustin)** : *Glossaire nautique. Répertoire polyglotte des termes de marine anciens et modernes*, Vol. I, Paris, Firmin Didot Frères, 1848, p. 745.

يحمل إلاّ ما هو ضروري، لأنّ الرايس كان يضع نصب عينيه الخفة و السرعة كعاملين أساسيين للتوفيق في مهمّاته المتمثّلة عادةً في مطاردة سفن الأعداء و الإفلات بسهولة من براثن القادرغات المسيحية الأكبر و الأفضل تسليحًا[115].

و تحضرنا بهذا الخصوص شهادة أندريه ثڤيه (André Thevet) "جغرافي" ملك فرنسا، الّذي ذكر في كتابه (La Cosmographie universelle) الصادر سنة 1575م: "ما أعرفه خبرةً، كوني شهدته مرّتين مع البنادقة و مرّة واحدة مع الفرنسيين و الراغوزيين [نسبة إلى مدينة راغوزة بإقليم دالماسيا، دوبروڤنيك حاليًا] هي الجرأة الّتي يقبل بها أولئك القراصنة الأفارقة، الّذين بقادرغة واحدة لا يخشون مهاجمة سفينتين كبيرتين للمسيحيين، و ليس ذلك عندما تكون الرياح قويّة و الجوّ مضطربًا، و لكن حينما يكون لطيفًا و البحر هادئ، بالنظر إلى أنّ السفينة لا يسعها أن تبحر، في الوقت الّذي تحوم القادرغة أو الغليوطة بشكلٍ سلس حولها بواسطة المجاديف، مطلقةً عليها نيران مدفعيتها من كلّ جانب"[116].

و الجدير بالإشارة أنّ تلك المواصفات الّتي أوردناها آنفًا جعلت الكثير من الأوروبيين المعاصرين يعتبرون تلك القادرغات الجزائرية بمثابة غليوطات كبيرة بعد أن التبس عليهم الأمر. و للعلم، فالغليوطة لم تكن تختلف كثيرًا خلال القرن السادس عشر و السابع عشر عن القادرغة شكلاً، حيث كان الفارق في الحجم و الأبعاد، كون الأولى لا تضمّ سوى 14 إلى 19 صفّ مجدّفين[117].

كانت القادرغة إبّان القرن السادس عشر تشكّل أهمّ قطع الأسطول الجزائري، ففي سنة 1581م، ذكر الأسير البرتغالي أنطونيو دي سوزا (Antonio de Sosa)، الّذي انتحل عمله الراهب الإسباني دييغو دي هايدو (Diego de Haëdo)، أنّ الجزائريين

---

[115]**BELHAMISSI (Moulay)** : *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, T. 1, Alger, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996, pp. 100-101.

جودي (إسماعيل): *الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني 1518-1830*، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009، ص. 180.

[116]**THEVET (André)** : *La Cosmographie Universelle d'André Thevet*, t. 1, Paris, Guillaume Chaudiere, 1575, p. 227.

[117]**MAZIANE (Leïla)** : *Salé et ses corsaires (1666-1727). Un port de course marocain au XVII^e siècle*, Caen, Publications des Universités de Rouen et du Havre, 2007, p. 127.

جودي (إسماعيل): المرجع السابق، ص. 183.

كانوا يمتلكون نحو 27 سفينة حربية من هذا الطراز، إلى جانب 8 غليوطات و من 20 إلى 25 فرقاطة و بركانطي (سفن شراعية و تجديفية ضمّت من 8 إلى 13 صفّ مجدّفين)[118].

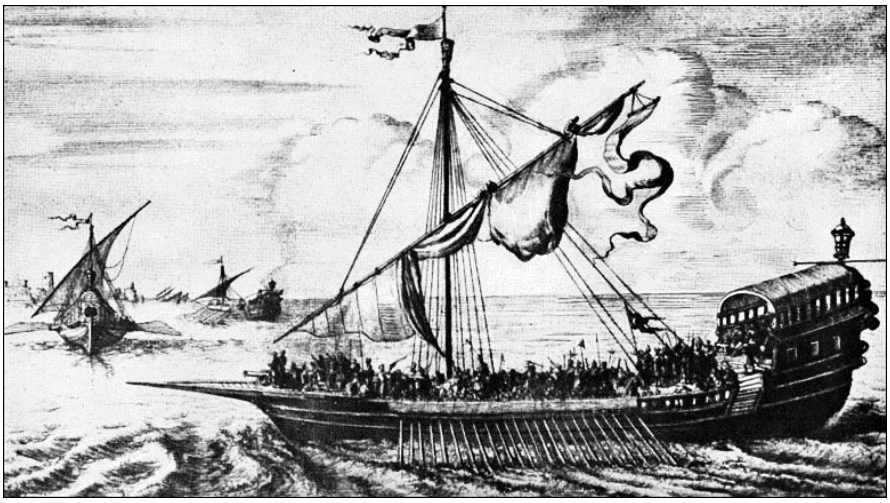

قادرغة جزائرية على الأرجح، ذات 24 صفّ تجديف.

1- ظروف ظهور الشبّاك

من خلال تتبّع المعلومات الّتي رصدناها في المصادر التاريخية، تبيّن لنا بشكل ملحوظ تناقص أعداد القادرغات و كذا الغليوطات ابتداءً من أواخر القرن السادس عشر، و يمكن تفسير هذا التحوّل البطيء، لكن الثابت الّذي طرأ على البحرية الجزائرية بعدّة عوامل تأتي في مقدّمتها نقائص السفن الحربية المذكورة، و الّتي يمكننا إجمالها في :

-احتياجها للتزوّد بالماء كلّ 7 إلى 10 أيّام على الأكثر، نظرًا إلى حجم طواقمها و مقاتليها و مجدّفيها، الّذين كانوا يعدّون بالمئات ؛ و هذا بحدّ ذاته كان يشكّل خطرًا لا

[118]**HAËDO (Diego de)** : *Topographie et Histoire générale d'Alger*, traduit de l'espagnol par le Dr. Monnereau et A. Berbrugger, Paris, Éditions Bouchène, 1998, pp. 99-102 ; **CAMAMIS (George)** : *Estudios sobre el cautiverio en el Siglo de Oro*, Madrid, Gredos, 1977, pp. 124-150 ; **DÍAZ-TOLEDO (Aurelio Vargas)** : « Dos nuevos documentos de Antonio de Sosa que prueban ser autor de la Topographia e Historia General de Argel: el manuscrito Add. 28366 de la British Library », *Anales Cervantinos*, vol. 63, 2021, pp. 15-52.

يمكن التغاضي عنه، و لا سيّما في المناطق المعادية[119].

-تكلفة بنائها العالية بسبب حجمها الكبير، فاقمها احتياجها إلى أعمال صيانة دورية (الّتي كانت تمسّ بالأخصّ بدن السفينة : النجارة، الكشط، الحرق، التشحيم، التزفيت، القلفطة، إلخ) لا تقلّ كلفةً للحفاظ على جهوزيتها ؛ دون أن ننسى الإشارة إلى أنّ الغابات الجزائرية كانت لا توفّر غالبًا الأخشاب اللازمة لصنع "الكرينة" الّتي قد يبلغ طولها حوالي 40 متر، و الصاري (23 متر) و المجاديف (9 أمتار).

-حاجتها إلى ما بين 200 و 300 مجدّف (أي 4 إلى 6 مجدّفين لكلّ مجداف) من الأسرى الأوروبيين، الّذين كان اقتناؤهم باهضًا كما كانوا يمثّلون مصدر تهديد أكيد، خصوصًا خلال المواجهات. و يكفي أن ننوّه بأنّ أكبر معركة بحرية في العصور الحديثة، معركة ليبانتو (1571م)، كان أحد أسباب هزيمة العثمانيين فيها أمام الحلف المسيحي هي البلبلة الناجمة عن امتناع الأسرى المجدّفين عن التجديف، و في بعض الحالات وصل الأمر ببعض جماعاتهم إلى كسر قيودهم و الانقضاض على طواقم البحّارة و المقاتلين.

-محدودية مجال المناورة زمنيًا، إذ كانت جماعة المجدّفين ليس باستطاعتها العمل بأقصى طاقتها إلاّ بحدود ساعة واحدة، و بضع مرّات يوميًا فقط تتخلّلها فترات استراحة[120].

-اعتماد البحريات الأوروبية بشكل متزايد على السفن الدائرية -سمّيت كذلك لأنّ نسبة الطول إلى العرض تساوي 1 إلى 3 أو 4- مثل الغلايين (جمع غليون) و البوارج الأكثر ملاءمة للإبحار في البحار و المحيطات حتّى خلال فصل الشتاء، في حين كانت القادرغات بالأساس لا تقوى على مجابهة العواصف بسبب قلة ارتفاع بدنها فوق مستوى سطح البحر، ممّا اضطرّها إلى البقاء "مسمّرة" في ميناء الجزائر ابتداءً من شهر أكتوبر إلى غاية أبريل تقريبًا. و نذكر مثالاً عن ذلك، مصير عشرات القادرغات المشاركة في حملة شارلكان (Charles Quint) على مدينة الجزائر (1541م)، خلال العاصفة الهوجاء الّتي ساقتها "العناية الإلهية".

-ضعف مدفعية القادرغات : فما يمكن أن يصنع مدفعين أو ثلاثة مدافع إزاء السفن

---

[119] **MAZIANE (Leïla)** : *op. cit.*, p. 126.
[120] *Ibid.*

الدائرية الأوروبية، الّتي تزايد عددها و أضحى عدد مدفعيتها يعدّ بالعشرات،بحيث لا يمكن اقتحامها بسهولة[121] ؛ و يمكن أن نضيف إلى ما سبق قلّة نسبة مقاتلي القادرغة (من سبعين إلى قرابة المائة فرد)، بالمقارنة مع نسبة المجدّفين فيها.

و بناءً على ما ذكر، سعى القائمون على شؤون البحرية إلى تطوير حثيث لقطع الأسطول الجزائري، من خلال محاولة مسايرة تطوّر البحريات الأوروبية ؛ و تجلّى ذلك بالمقام الأوّل عبر اعتماد تقنية السفن المستديرة.

و أفاد الجزائريون بهذا الخصوص من وفود مكثّف للأوروبيين للجزائر مع بدايات القرن، بعضهم مثل القبطان الفلامنكي سيمن دانزيگر الشهير بسيمون دانسر (Siemen Danziger *alias* Simon Danser) طواعيةً لمزاولة نشاط القرصنة انطلاقًا من ميناء الجزائر على رأس طواقم سفنه (1606-1609م)[122]، و البعض الآخر بصفة أسرى مختصّين في مجال بناء السفن، أو مطرودين على غرار جموع المورسكيين الّذين ألقت بهم السفن على السواحل المغاربية خلال السنوات (1609-1614م).

و بتبنّي الجزائريين لتلك السفن، الّتي كان يدعوها الأتراك إجمالاً غليونات، سهل عليهم مواجهة أهوال المحيط الأطلسي طوال السنة تقريبًا، و ترقّب السفن الإيبرية الغنية الّتي كانت تسلك طرق الهند و الأمريكيتين.

بيد انّ اعتماد تلك السفن لم يكن وحده وراء النجاح الّذي حقّقته البحرية الجزائرية خلال العقود الأولى من القرن السابع عشر، إذ ظهر إلى الوجود طراز جديد من سفن الحرب و القرصنة، لم ينتبه له بادئ الأمر الأوروبيون ربّما لكونه ذو أبعاد متواضعة مقارنةً بالبوارج و القادرغات المهيبة، الّتي عادةً ما كانت تثير الانتباه بضخامتها: هذا الطراز دعي ببساطة "الشبّاك".

2- أصل الشبّاك

تعزو أغلب الكتابات البحرية أصل هذه السفينة إلى مركب أندلسي يحمل نفس

---

[121] **جودي (إسماعيل):** المرجع السابق، ص. 181.

[122] انظر:المرجع نفسه، ص ص. 174-178.

MAZIANE (Leïla) : *op. cit.*, pp. 122-123.

الاسم، "شبّاك" ؛ و ذلك دون أن تورد أيّة مواصفات أو معلومات يمكن أن نتّخذها أساسًا لعمل مقارنة بين المركب المذكور و سمّيه المخصّص للقرصنة. المعلومة الوحيدة الّتي تناقلتها بناءً على مقاربة اشتقاقية (يعني أنّ اللفظ شبّاك مشتّق من شبكة)، هي كونه على الأرجح قارب صيد[123].

لقد أتاح لنا البحث التوصّل إلى أنّ الشبّاك المذكور، الّذي لا تزال نماذج له موجودة إلى حدّ اليوم بجنوب إسبانيا (إقليم أندلوسيا) تحت اسم Jábega[124]، كان عبارة عن قارب صيد صغير لا سارية له و دفّته عبارة عن مقذاف، يتراوح طوله بين 7 و 8,5 متر و يحرّكه من 3 إلى 6 زوج من المجدّفين[125] ؛ و كان هذا الشبّاك مخصّص في الأصل لصيد أسراب السمك مثل التونة و السردين و الأنشوفة، التّي تتطلّب الإحاطة بها و حصرها في شبكة يناهز طولها مائة باع تحمل نفس الإسم باللهجة الإسبانية (Jábega) السرعة في التنفيذ.

و يعود هذا القارب -الّذي نورد صورةً نموذجية له أدناه- على الأقلّ إلى القرن العاشر الميلادي، أي إبّان الخلافة الأموية بالأندلس، إذ رصدنا أقدم إشارةٍ له في مذكّرات الأمير عبد الله بن بلقين، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469-483هـ)، المسمّاة بكتاب التبيان، حيث استخدِم كوسيلة لتهريب ابن صاحب المرية من قبضة قوّات المرابطين: "...و تحيّل أبوه في انطلاقه، حتّى انصرف إليه فارًّا من المرابطي] ؛ اختلسه من موضعه رجلٌ له شبّاك، قذف به في البحر حتّى سَلِم [و في قراءةٍ أخرى - سُلِّم-] إلى والده"[126].

---

[123] **JAL (Augustin)** : *op. cit.*, pp. 449 & 638-639.

[124] **BURLET (René)** : *Dictionnaire d'Histoire maritime*, collection Robert Laffont, éditions Bouquins, 2002, pp. 337-338.

[125] **PORTILLO STREMPEL (Pablo)** : « La Barca de Jábega como Bien de Interés Cultural », *Cuadernos del Rebalaje*, 1, Julio 2015, p. 7.

[126] **بن بلقين (عبد الله)** : *مذكّرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469-483) المسمّاة بكتاب التبيان*، نشر و تحقيق إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، 1955، ص. 167.

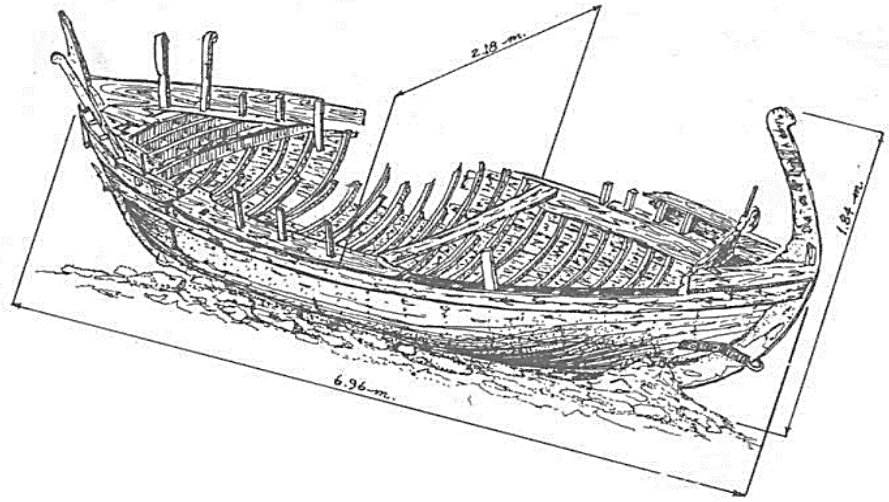

رسم لحطام قارب الشبّاك تظهر فيه أبعاده المتواضعة[127].

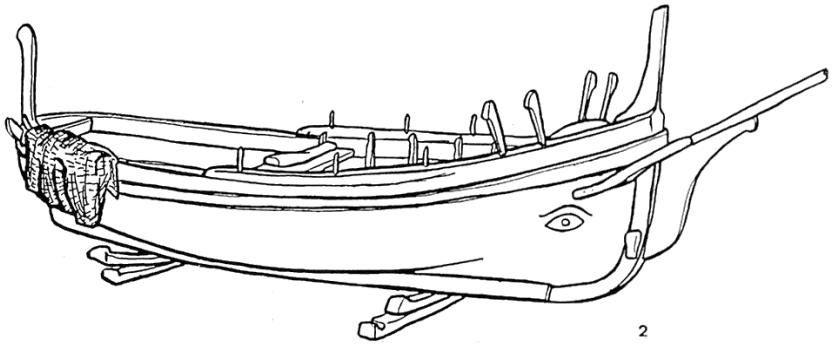

رسم نموذجي لقارب شبّاك لا يزال في الخدمة بنواحي مدينة مالقة[128].

و بحسب ما تبدّى لنا من الصعب رؤية الكثير من أوجه الشبه أو الخصائص البنيوية المشتركة بين قارب الصيد و سفينة القرصنة، باستثناء طرف الحيزوم في

[127] نقلاً عن :

https://litoraldegranada.ugr.es/hombre-y-litoral/el-arte-de-jabega/

تمّ الاطلاع على الموقع بتاريخ 2022/09/12 على الساعة 08:27.

[128] تمّ تحميل الصورة من موقع Instituto Andaluz de Patrimonio Histórico (المعهد الأندلسي للموروث التاريخي) :

https://repositorio.iaph.es/handle/11532/158741

مقدّمة القارب. و بناءً على ذلك، حتّى لو افترضنا أنّ المهاجرين الأندلسيين (المورسكيين) قاموا بمضاعفة أبعاد المركب، كي يصل إلى حجم أدنى يتيح لهم خوض البحر به بقصد القرصنة ؛ فإنّه كان ليفتقد للكثير من الخصائص، على غرار جهاز الأشرعة و المؤخّرة المميّزة للشبّاك كما يظهر في الصورة التالية.

تصوير نموذجي لسفينة شبّاك ذات 24 مدفع.

يجب أن نوجّه أنظارنا صوب المشرق كي تكتمل لنا صورة النموذج الأوّلي، الّذي اعتمد عليه معلّمو السفن الجزائريين لتطوير هيكل الشبّاك ؛ و الدليل الّذي سيقودنا إلى ذاك المركب الغامض هو مؤخّرة السفينة الّتي تتميّز بوجود امتداد لجانبي السفينة، بحيث يحصران سطحًا مستويًا بارزًا : ذاك المركب يدعى السنبوك. إنّه سفينة صغيرة إلى متوسّطة الحجم ذات صارٍ واحد كانت منتشرة في العراق و الخليج العربي و بحر العرب و خليج عمان و سواحل اليمن و الحجاز منذ القرن التاسع ميلادي[129]؛و اتّسع نطاق استعمالها خلال القرن الرابع عشر ليشمل شرق حوض البحر الأبيض المتوسّط.

[129] **النخيلي (درويش)** : *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، الإسكندرية، جامعة الإسكندرية، 1974، ص ص. 70-71.

و قد تعدّدت أبعاد السنبوك أو السنبوق بحسب طبيعة استخدامه : فمن مركب نقلي صغير بأنهار العراق، أو لصيد اللؤلؤ في الخليج يتّسع إلى ما بين 50 و 180 طن، نصل تصاعديًا إلى سفينة ذات حجم محترم بإزاحة تناهز 300 طن و طول يربو عن 40 مترًا، و تستعمل في الأسفار الطويلة بالمحيط الهندي[130].

سنبوك بالخليج العربي مخصّص لصيد اللؤلؤ.

و المميّز في السنبوك هو وجود امتدادين على جانبي المؤخّرة، بحيث أشبهه العرب بشكل سنبك الخيل –و هو دونما شكّ أصل تسمية السفينة-، بالإضافة إلى مقدّمة مدبّبة[131]، تمامًا مثلما هو موجود في سفينة الشبّاك الجزائرية ؛ و بناءً على الاعتبارين الأخيرين، فإنّه بوسعنا الافتراض بأنّ البحّارة الجزائريين تعرّفوا على السفينة المذكورة بارتيادهم لموانئ مصر أو الساحل الشامي أو اغتنموها ببساطة من يوناني الممتلكات البندقية ببحر إيجة.

AGIUS (Dionisius A.) : *Classic Ships of Islam. From Mesopotamia to the Indian Ocean*, Brill, Leiden-Boston, 2008, pp. 310-314.

[131] **عبد القوي عثمان (شوقي)** : *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة العثمانية (904-41هـ–1498-661م)*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة عالم المعرفة، يوليو 1990، ص. 106.

و فيما يخصّنا، فإنّنا نميل إلى الافتراض الثاني، لا سيّما أنّ السفينة المذكورة كانت تعرف عند الأتراك باسم سونبكي (Sunbeki)، و أنّ أحد أقدم الإشارات إلى سفينة الشبّاك بالجزائر وردت في مراسلة فرنسية مؤرّخة في سنة 1706 على الشكل "sambeki d'Alger"[132] ؛ و الجدير بالذكر أنّ اللفظ العثماني اشتقّه الإيطاليون أيضًا على الشكل Zambecco، كمرادف للكلمة Sciabecco "شبّاك"[133] و في اللغة المالطية، نجد كذلك الصيغة Xambekk.

و لا يمكن أن تكتمل الصورة بشأن أصول الشبّاك، دون التنويه بأنّ بدن تلك السفينة كانت تحمل الكثير من التماثلات مع القادرغات و الغليوطات ؛ أمّا جهاز الأشرعة المثلّثة الشكل، فهو دارج لما كان يستخدمه الجزائريون و غيرهم من المغاربة بالنسبة لمراكبهم الشراعية مثل الشطّية و الفلوكة.

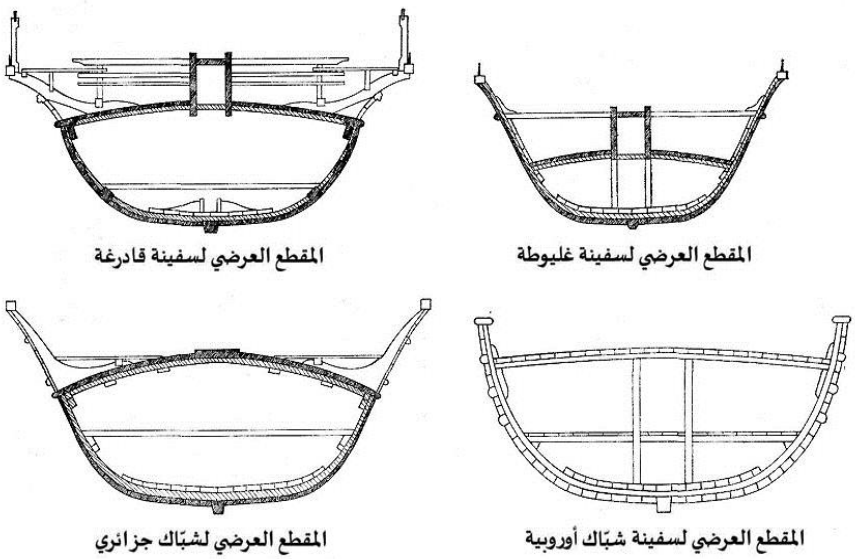

المقاطع العرضية لبعض السفن المتوسّطية[134].

[132]**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742)*, Alger, Adolphe Jourdan, 1890, p. 113.
[133]**JAL (Augustin)** : *op. cit.*, p. 449.
[134]**MONDFELD (W.)** : *Die Schebecke und andere Schiffstypen des Mittelmeerraumes*, 2.Aufl., Leipzig,VEB Hinstorff Verlag Rostock, 1980, S. 27.

و نخلص من كلّ ما سبق ذكره إلى أنّ الشبّاك يعود الفضل في إنشائه لمعلّمي سفائن جزائريين، بالنظر إلى المؤثّرات المحلّية و الأندلسية و التركية المشرقية الّتي ساهمت في بلورة شكل السفينة و أجزائها الرئيسية، خلال النصف الأوّل من القرن السابع عشر.

و لا يسعنا أن نختم هذا العنصر دون التنويه إلى أنّ أغلب المصادر الأوروبية لم تعطِ بالاً إلى السفينة الجديدة، و ظلّت لمدّة طويلة -بعضها حتّى بداية القرن التالي- تنعتها بأسماء مغايرة مثل قربيلة، و فرقاطة ذات مجاديف، و شطّية، و غيرها ؛ و نعتقد أنّ ذلك ما ساهم بشكلٍ كبير في أن يحفّ بدايات الشبّاك و تطوّر نماذجها الأولى اللُبس و الكثير من الغموض في غياب تامّ للمخلّفات الأثرية، ما خلا بعض اللوحات و الرسوم التخطيطية.

3- خصائص الشبّاك

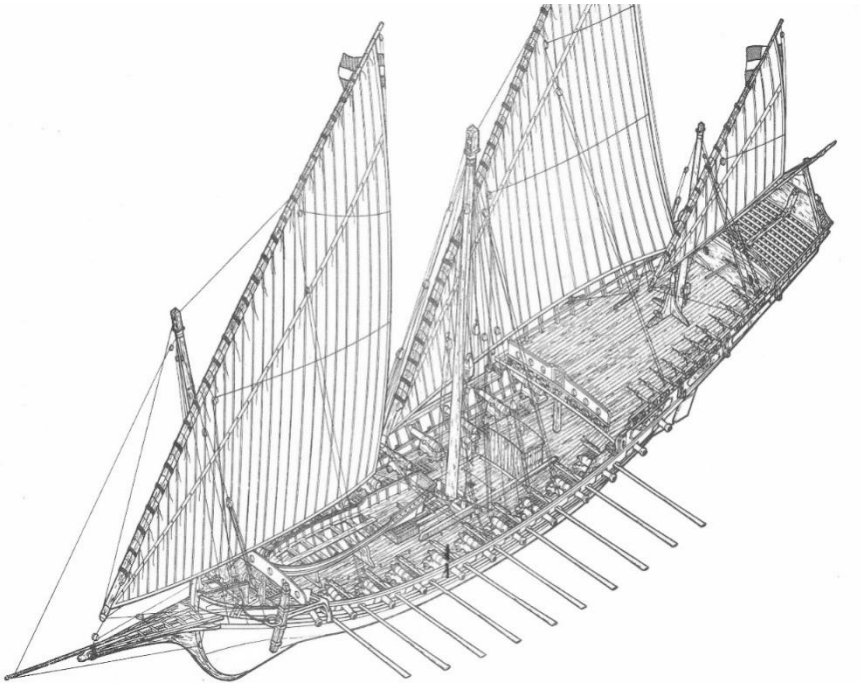

رسم تخطيطي مفصّل لسفينة شبّاك.

كان الشبّاك مزدوج الدفع، حيث كان يعتمد على الأشرعة و المجاديف بحسب الظروف. كان جهاز أشرعته يتوزّع على ثلاثة صواري : كان صاري المقدّمة يتميّز بميلان ملحوظ إلى الأمام، و كان الصاري الأوسط هو الكبير، بينما كان صاري المؤخّرة قصير جدًّا و يوجد على مقربة من الدفّة[135] ؛ و كانت الأشرعة كما أسلفنا مثلّثية الشكل، و مفرطة في الكبر، بحيث كانت قد تصل مساحتها إلى حوالي 800 متر مربّع في الشبّاكات الحربية الكبرى، الّتي تبلغ إزاحتها 300 أو 350 طن و طولها يقارب 40 متر ؛ و هو ما جعلها تكتسب سرعة لا مثيل لها مقارنة بالسفن الأخرى. و لإعطاء مثال عن ذلك، احتسب المهندس البحري الإسباني خورخِ خوان إي سانتاسيليا أنّ في الظروف المثلى كان الشبّاك المنصوب الأشرعة عندما يهبّ الريح بسرعة س، بإمكانه أن يكتسب سرعة عظمى أكبر من س بمقدار 63 % ؛ و بالمقارنة كانت بارجة ذات 60 مدفعًا مزوّدة بحوالي 1640 متر مربّع من الأشرعة سرعتها العظمى تناهز 74 % من السرعة س فقط[136].

و تمتّع الشبّاك بميزة أخرى بفضل ترتيب و مساحة أشرعته هي إمكانية اللفّ و الدوران أو الذبذبة (loffer)، أي السير بشكلٍ ملتوٍ عكس اتّجاه الريح تقريبًا ؛ و هو ما كان يعرب عنه البحّارة الجزائريون في وقتٍ مضى بالعبارة الاصطلاحية "فورصا (كذا) في عين الريح"، أي أسرع بالمركب عكس اتّجاه الريح.

و كانت قدرة الشبّاك العالية للمناورة، تتيح له الإفلات من سفن الأعداء بطريقةٍ لطالما أثارت الإعجاب، فعلى سبيل المثال، تردّدت في أنحاء أوروبا أخبار بسالة شبّاك "بربري" نجا من النيران المتتالية لستة بوارج من أسطول الأميرال برويكس (Amiral Bruix) سنة 1799م، و الّذي كان سينفذ بجلده لولا أنّ بارجة جديدة عادت من مهمّة استطلاع و قطعت له طريق التراجع[137].

---

[135] كواندرو (روجي) : *قراصنة سلا*، ترجمة محمد حمود، الرباط، مطبعة و مكتبة الأمنية، 1991، ص. 82.

[136] **JUANY SANTACILIA (Georges)** : *Examen maritime, théorique et pratique, ou Traité de Méchanique, appliqué à la construction et à la manœuvre des Vaisseaux & autres Bâtiments*, traduit de l'espagnol par M. Levêque, t. 1, Nantes, Augustin-Jean Malassis, 1783, pp. 40-41.

[137] **BONNEFOUX (baron [Joseph] de)** : *Manœuvrier complet. Traité des manœuvres de Mer à bord des bâtiments à voiles*, 2ème éd., Paris, Arthus Bertrand, 1866, p. 349.

و عندما تسكن الريح، كان الشبّاك يعتمد حينئذٍ على أزيد من عشرة أزواج من المجاديف، تُحرّك من خلال فتحات في بدن السفينة تتوسّط الفتحات المخصّصة لقطع المدفعية ؛ غير أنّ هيئة ظهر السفينة كانت تجبر المجدّفين على العمل وقوفًا[138].

و بفضل قلّة ارتفاعها في الماء (الغاطس)، كانت تلك السفينة بإمكانها الاقتراب كثيرًا من السواحل، بل و حتّى التجاسر على دخول الخلجان و المصبّات الضحلة.

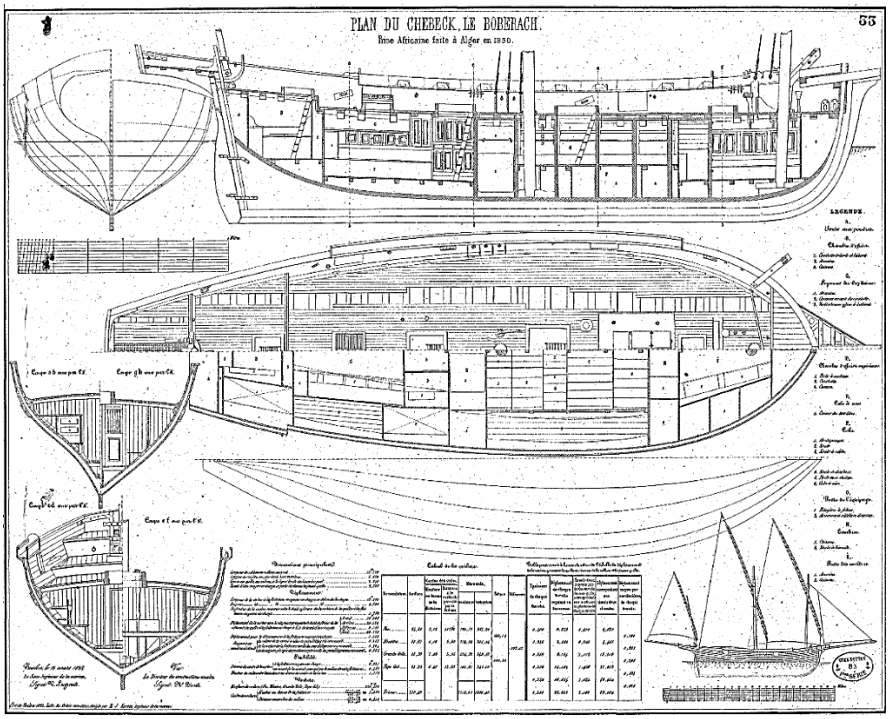

مخطّطات الشبّاك الجزائري "بوبراق"، الّذي غنمه الفرنسيون لدى احتلالهم الجزائر في يوليو1830.

وقد كانت أبدان الشبّاكات أقوى رغم رقّتها من أبدان القادرغات و الغليوطات، ممّا سمح لها بخوض غمار البحار أحيانًا حتّى في الظروف غير المؤاتية ؛ كما أنّها كانت تحمل بحسب أحجامها المتفاوتة عددًا من المدافع يتراوح إجمالاً من 12 إلى 30 مدفعًا ذا عيار صغير. و هذه الخصائص الفريدة تفسّر كيف حلّ الشبّاك شيئًا فشيئًا محلّ السفن المذكورة آنفًا بحلول القرن الثامن عشر.

[138]**BURLET (René)** : *op. cit.*, pp. 337-338.

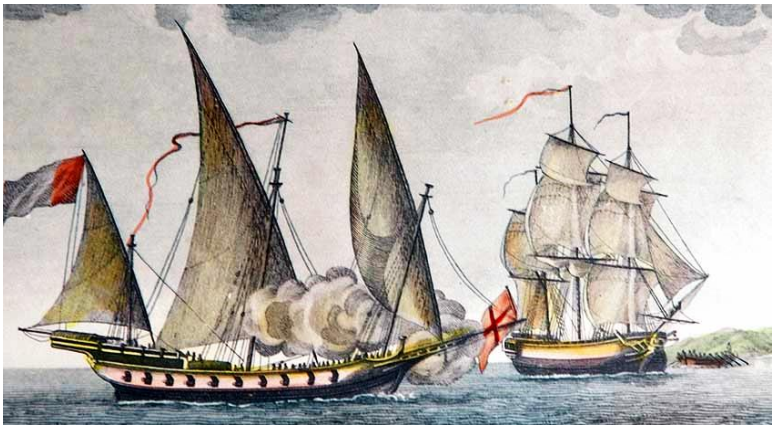

رسم تصويري لشبّاك جزائري يهاجم سفينة تجارية جنوية، و يظهر في الخلفية طاقمها يحاول الفرار على متن قارب للوصول إلى شاطئ النجاة القريب.

4. انتشار استخدام الشبّاك

إنّ الخصائص الّتي ميّزت الشبّاك عن باقي سفن ذاك الوقت، ستكفل اعتمادها من قبل بحريات عدّة دول أوروبية حتّى أواسط القرن التاسع عشر، على اعتبار أنّها كانت من أحسن مراكب البحر الأبيض المتوسّط المخصّصة للحرب.

و من غير الإيالات المغاربية الثلاث، دون أن ننسى "جمهورية" سلا البحرية، كانت الدولة الأكثر استخدامًا للشبّاك هي إسبانيا، الّتي تفطّنت لأهمّية تلك السفينة في وقت مبكّر، بسبب نشاط القرصنة الجزائرية المكثّف ضدّها. و في منتصف القرن الثامن عشر، كانت الأرمادا ريال، يعني الأسطول الملكي، يضمّ ما لا يقلّ عن 47 شبّاكًا، من ضمنها بضع وحدات تجاوزت إزاحتها 600 طن[139].

[139] **BURLET (René)** : *op. cit.*, pp. 337-338.

مواجهة عنيفة بين شبّاك إسباني و مركبين جزائريين[140].

أمّا فرنسا، فاعتمدت عددًا من الشبّاكات في بحريتها، عقب تخلّيها عن القادرغات في سنة 1748م ؛ حيث بلغ عدد السفن الّتي تمّ إطلاقها خلال الخمسينات نحو تسع وحدات. و الجدير بالإشارة أنّه بعد التخلّي التدريجي عن الشبّاك خلال الربع الأوّل من القرن التاسع عشر، كان آخر شبّاك استخدمته البحريةالفرنسية هو الشبّاك بوبراق، الّذي غنمه الفرنسيون بميناء الجزائر في يوليو 1830م، حيث بقي في الخدمة أزيد من عقدين، قبل أن يغرق قبالة السواحل الجزائرية.

أمّا بالنسبة للدولة العثمانية، فالمفارقة أنّ الشبّاك (أو سونبكي كما يسمّى عند الأتراك) لم يعرف استخدامًا عسكريًا فعليًا في الأسطول، إلاّ بعد تولّي غازي حسن باشا الجزائري القبودانية -أي وزارة البحرية العثمانية- خلال الفترة (1770-1790م)[141].

---

[140] رسمت هذه اللوحة الزيتية مطلع القرن العشرين من قبل الرسّام الإسباني آنجل كورتليني إي سانشيز (Ángel Cortellini y Sánchez)، و حملت عنوان "دون أنطونيو بارسيلو مع شبّاكه الحامل للمراسلات يستسلم لغليوطتين جزائريتين - السنة 1736".

تجدر الملاحظة أنّ العنوان ينطوي على خطأ واضح فيما يخصّ المركبين الجزائريين : صحيح أنّ المركب الموجود على اليمين، و الّذي يحاول مهاجمة الشبّاك الإسباني من الخلف قد نرتاب في كونه غليوطة ؛ غير أنّ الّذي يهرع للاشتباك على يسار الصورة - ناشرًا أشرعته الرئيسية على شكل "مقصّ" أو "أذني أرنب" - هو بلا أدنى شكّ شبّاك.

[141] **SUE (Eugène)** : *Histoire de la Marine de tous les peuples depuis l'antiquité*

و دون مبالغة، يمكننا أن نقول أنّ جميع الدول البحرية الأوروبية (إنكلترا، روسيا، البندقية، الدانمارك، السويد، إلخ)، و حتّى الولايات المتّحدة الأمريكية، امتلكوا عددًا من الشبّاكات في أساطيلهم الحربية ؛ و هذا ما يعتبر اعترافًا بحقّ بالمميّزات الفريدة لهذا الطراز، الّذي رأى النور قبل أربع قرون في ميناء الجزائر.

الخاتمة

يعدّ الشبّاك من النماذج البحرية القليلة الّتي رأت النور في ترسانات إيالة الجزائر، حيث يعود الفضل في إنشائه لمعلّمي سفائن جزائريين، خلال النصف الأوّل من القرن السابع عشر ؛ و رأينا كيف ساهمت مؤثّرات محلّية و أندلسية و تركية مشرقية في بلورة شكل السفينة و أجزائها الرئيسية. و اللافت للانتباه فيما يخصّ هذه السفينة هو أنّها جاءت كإجابة للتطوّر الكبير الّذي عرفته البحريات الأوروبية باعتماد السفن الدائرية، إبّان العقود الأخيرة من القرن السادس عشر، و الّتي تفوّقت بخصائصها الملاحية على المراكب ذات المجاذيف "التقليدية" مثل القادرغات و الغليوطات، الّتي كانت تشكّل حتّى ذلك الوقت أساس السفن المتوسّطية.

و لقد جمع الشبّاك "الجديد"، على اعتباره سفينة هجينة بين السفن الدائرية و السفن التجديفية، أفضل خصائص الطرازين المذكورين، إذ تميّز بشكل بدنٍ رشيق و خفيف للغاية، جعل منه جهاز أشرعته المفرط في الكبر مقارنةً بأبعاده، مركبا استثنائيًا من حيث سرعة الإبحار و قابلية المناورة و القدرة على الإفلات في جميع الظروف تقريبًا، ما عدا البحر الهائج بسبب نقطة ضعفه الوحيدة : الضعف الهيكلي.

و مهما يكن من أمر، تلك الخصائص الّتي ميّزته عن باقي سفن وقتذاك، ستكفل اعتماده من قبل بحريات عدّة دول أوروبية حتّى أواسط القرن التاسع عشر، على اعتبار أنّه كان -حسب قول مختصّي ذلك العهد- من أحسن مراكب البحر الأبيض المتوسّط المخصّصة للحرب و القرصنة.

jusqu'à nos jours, Paris, H.-L. Delloye, 1841, p. 302.

قائمة المصادر والمراجع:

-**الجعماطي (عبد السلام)** : *دراسات في تاريخ الملاحة البحرية و علوم البحار بالغرب الإسلامي*، ط. 1، بيروت، دار الكتب العلمية، 2012.

-**العلاف (إبراهيم خليل)**: "السفن و المراكب في الخليج العربي. قصة كفاح مجيدة"، *دورية كان التاريخية*، 4، يونيو 2009، 61-68.

-**أميلي (حسن)**: *الجهاد البحري بمصبّ أبي رقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي*، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة و النشر، 2006.

-**بلحميسي (مولاي)**: "صناعة السفن في الجزائر أيام الأتراك"، *مجلة الدراسات الأثرية*، 2، 1995، 47-73.

-**بوشارب (أحمد)**:*قراصنة المحيط الأطلسي*، الرباط، عكاظ، 1998.

-**جودي (إسماعيل)**:*الصناعة العسكرية في الجزائر في العهد العثماني 1518-1830*، ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، 2009.

-**بن بلقين (عبد الله)** : *مذكّرات الأمير عبد الله، آخر ملوك بني زيري بغرناطة (469-483) المسمّاة بكتاب التبيان*، نشر و تحقيق إ. ليفي بروفنسال، القاهرة، دار المعارف، 1955.

-**سرحان (حليم)**: "نظرات حول السفن الحربية الجزائرية في العهد العثماني (دراسة هستوريوغرافية)"، *مجلة العلوم الاجتماعية و الإنسانية*، 9، جويلية 2015، 177-195.

-**عبادة(عبد الفتّاح)** :*كتاب سفن الأسطول الإسلامي و أنواعها و معدّاتها في الإسلام*، القاهرة، مطبعة الهلال، 1913.

-**عبد القوي عثمان (شوقي)** : *تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة العثمانية (904-41هـ/661-1498م)*، الكويت، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، سلسلة عالم المعرفة، يوليو 1990.

-**كواندرو (روجي)**: *قراصنة سلا*، ترجمة محمد حمود، الرباط، مطبعة و مكتبة الأمنية، 1991.

-**النخيلي (درويش)** : *السفن الإسلامية على حروف المعجم*، الإسكندرية، جامعة الإسكندرية،1974.

-**AGIUS (Dionisius A.)** : *Classic Ships of Islam. From Mesopotamia to the Indian Ocean*, Brill, Leiden-Boston, 2008.

-**BAUGÉAN [Jean-Jérome]**: *Recueil de petites marines*, Paris, Ostervald aîné, 1822.

-**BELHAMISSI (Moulay)** : *Marine et marins d'Alger (1518-1830)*, t. 1, Alger, Bibliothèque Nationale d'Algérie, 1996.

-**BONNEFOUX (baron [Joseph] de)** : *Manœuvrier complet. Traité des manœuvres de Mer à bord des bâtiments à voiles*, 2ème éd., Paris, Arthus Bertrand, 1866.

-**BOUDRIOT (Jean)** & **BERTI (Hubert)**: *Chébec de 24 canons "LE REQUIN" 1750 du constructeur majorquin Joseph Caubet*, Paris, A.N.C.R.E., 1987.

-**BOYER (Pierre)**: "Les renégats et la marine de la Régence d'Alger", *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*, 39, 1985, 93-106.

-**BRUNOT (Louis)**: *La mer dans les traditions et les industries indigènes à Rabat & Salé*, Paris, Éditions Ernest Leroux, 1920.

-**BURLET (René)** : *Dictionnaire d'Histoire maritime*, collection Robert Laffont, éditions Bouquins, 2002.

-**CAMAMIS (George)** : Estudios sobre el cautiverio en el Siglo de Oro, Gredos, Madrid, 1977, 124-150.

-**DELHAYE (Marion)**: "Quelques remarques sur la construction française des chébecs entre la fin du XVIIIe et le début du XIXe siècle", *Archaeonnautica*, 14, 1998, 259-262.

-**DEVOULX (Albert)**: "La marine de la régence d'Alger", *Revue Africaine*, 13, Septembre 1869, 384-420.

-**DÍAZ-TOLEDO (Aurelio Vargaz)** : "Dos nuevos documentos de Antonio de Sosa que prueban ser autor de la Topographia e Historia General de Argel: el manuscrito Add. 28366 de la British Library", *Anales Cervantinos*, vol. 63, 2021, 15-52.

-**GRAMMONT (Henri Delmas de)** : *Correspondance des consuls d'Alger (1690-1742)*, Alger, Adolphe Jourdan, 1890.

-**HAËDO (Diego de)** : *Topographie et Histoire générale d'Alger*, traduit de l'espagnol par le Dr. Monnereau et A. Berbrugger, Paris, Éditions Bouchène, 1998.

-**JAL (Augustin)** : *Glossaire nautique. Répertoire polyglotte des termes de marine anciens et modernes*, vol. I, Paris, Firmin Didot Frères, 1848.

-**JUAN Y SANTACILIA (Georges)** : *Examen maritime, théorique et pratique, ou Traité de Méchanique, appliqué à la construction et à la manœuvre des Vaisseaux & autres Bâtiments*, traduit de l'espagnol par M. Levêque, T. 1, Nantes, Augustin-Jean Malassis, 1783.

-**KONSTAM (Angus)** : *The Barbary Pirates 15th-17th Centuries*, illustrated by Gerry Embleton, Oxford, Osprey Publishing, 2016.

-**MAZIANE (Leïla)** : *Salé et ses corsaires (1666-1727). Un port de course marocain au XVIIe siècle*, Caen, Publications des Universités de Rouen et du Havre, 2007.

-**MONDFELD (Wolfram)** : *Die Schebecke und andere Schiffstypen des Mittelmeerraumes*, 2. Aufl., Leipzig, VEB Hinstorff Verlag Rostock, 1980.

-**PORTILLO STREMPEL (Pablo)** : "La Barca de Jábega como Bien de Interés Cultural", *Cuadernos del Rebalaje*, 1, Julio 2015, 7-17.

-**ROMME (Charles)** : *Dictionnaire de la marine françoise*, La Rochelle, P.L. Chauvet, 1792.

-**SCARPELLO (Vincenzo)**, *Storia e Strategia della Pirateria Barbaresca (Secc. XVI-XIX)*, 2010: www.culturasalentina.it

-**SUE (Eugène)** : *Histoire de la Marine de tous les peuples depuis l'antiquité jusqu'à nos jours*, Paris, H.-L. Delloye, 1841.

-**THEVET (André)** : *La Cosmographie Universelle d'André Thevet*, t. 1, Paris, Guillaume Chaudiere, 1575.

-**TREDREA (John)** & **SOZAEV (Eduard)**: *Russian Warships in the Age of Sail, 1696-1860. Design, Construction, Careers and Fates*, Seaforth Publishing, Barnsley, 2010.

-**WINFIELD (Rif)** & **ROBERTS (Stephen S.)** : *French Warships in the Age of Sail, 1786-1861. Design, Construction, Careers and Fates*, Barnsley, Seaforth Publishing, 2015.

-**WINFIELD (Rif)** & **ROBERTS (Stephen S.)** : *French Warships in the Age of Sail, 1626-1786. Design, Construction, Careers and Fates*, Barnsley, Seaforth Publishing, 2017.

-https://litoraldegranada.ugr.es/hombre-y-litoral/el-arte-de-jabega/
تمّ الاطلاع على الموقع بتاريخ 2022/09/12 على الساعة 08:27.
-https://repositorio.iaph.es/handle/11532/158741
تمّ الاطلاع على الموقع بتاريخ 2022/09/11 على الساعة 10:19.

المجلة الجزائرية للدراسات العثمانية والبحر المتوسط
المجلد: 3 العدد: 1 ص ص 59-79
ر ت م د (ISSN) : 2800-1184
تاريخ الإرسال (2023/06/02) تاريخ القبول (2023/06/15) تاريخ النشر(2023/06/30)

المصحف الموقوف على الجامع الكبير بمدينة الجزائر و المحفوظ بالمتحف العمومي الوطني للآثار القديمة و الفن الإسلامي

The Endowed Mus'haf at the Great Mosque of Algiers preserved in the National Public Museum of Ancient Antiquities and Islamic Art

نايم فيصل♦
جامعة الجزائر2
البريد الإلكتروني :faycal.naim@univ-alger2.dz

ملخص :

تعد المصاحف الشريفة من أكثر المخطوطات التي حظيت باهتمام الفنان المسلم لما تحمله من تنوع في المظاهر الفنية التي تتراوح ما بين فن التجليد و فن التلوين و التذهيب علاوة على فن الخط العربي الذي شهد مرحلة جديدة و خاصة ما تعلق بتدوين القرآن الكريم، و لذلك يمكن اعتباره المخطوط الذي شهد تطورا واسعا، لكون المسلم أراد بذلك التقرب إلى الله عز وجل و حبا منه لكتاب الله و خاصة في الفترة العثمانية.

و يعتبر المصحف الموقوف على الجامع الكبير بالجزائر إحدى التحف الفنية المتمثلة في نوادر المخطوطات و المحفوظة بالمتحف الوطني العمومي للآثار القديمة و الفن الإسلامي، و نظرا لأهميته التاريخية و قيمته الفنية و الأثرية و الرمزية لكونه وُقف من طرف عبدي باشا على الجامع الكبير على حسب ما جاء في قيد نص الوقف تقوم مؤسسة المتحف بعرضه أحيانا في المناسبات و التظاهرات العلمية و الثقافية كتظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية و تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية.

تهدف دراستنا الى التطرق لمظاهر الفنون على المصحف الموقوف على الجامع الكبير و المتمثلة في فنون التجليد و التذهيب و الرسم و الزخرفة و الخط العربي،

♦المؤلف المرسل

برزت العديد من الجوانب الخاصّة بهذه الفنون مع التوصل إلى العديد من المصطلحات الفنية و الكوديكولوجية المتعلقة بأثرية المصاحف في العصر العثماني، حيث برع الفنان في تزيين المصاحف سواء كان ذلك على الغلاف أو على الأوراق مع استعمال خط من أجمل أنواع الخطوط و هو خط الثلث الذي شاع استعماله خلال هذا العصر.

الكلمات المفتاحية:

مصحف؛ تجليد؛ تذهيب؛ فن؛ خط.

Abstract:

The Holy Mus'haf is considered one of the most important manuscripts that attracted the attention of the Muslim artist thanks to its diversity in artistic aspects, ranging from the art of binding to the art of coloring and gilding, in addition to the art of Arabic calligraphy, which witnessed a new phase, especially with regard to the codification of the Mus'haf. Therefore, it can be considered a witness of extensive development as Muslims wanted to draw closer to God Almighty and show love for the Book of God, especially in the Ottoman period.

The Mushaf, which was endowed on the Great Mosque, is considered one of the artistic masterpieces represented in the rare manuscripts preserved in the National Public Museum of Ancient Antiquities and Islamic Art. Given its historical importance and its artistic, archaeological and symbolic value, because it was endowed by Abdi Pasha on the Great Mosque, according to what was stated in the endowment text entry, the Museum Foundation displays it sometimes in scientific and cultural events, the latest of which was Tlemcen the capital of Islamic culture, and Constantine the capital of Arab culture.

Our study aims to address the aspects of the arts on the Mushaf endowed at the Great Mosque, represented in binding, gilding, drawing, decoration and Arabic calligraphy, many facts related to these arts emerged with the conclusion of many technical and codicological terms related to the archaeology of Mushaf in the Ottoman era, where the artist excelled in decorating the Mushaf, whether this was on the cover or on the papers with the use of one

of the most beautiful types of Thuluth calligraphy, commonly used during this era.
Keywords:
Mus'haf; Binding; Gilding; Art; Calligraphy.

مقدمة:

تكتسي دراسة المخطوطات أهمية كبيرة على حسب مجالاتها، و هي بذلك تنقسم إلى عدة أنواع منها: المخطوطات الأدبية، و المخطوطات العلمية، و كذا المخطوطات التاريخية، بالإضافة إلى المصحف الشريف الذي يعتبر من أكثر المخطوطات التي حظيت باهتمام المسلمين، من حيث إتقانها، و زخرفتها، و إحكام الخطوط المستعملة بها، لذلك يمكن اعتبار المصحف الشريف هو المخطوط الذي أخد الحيز الأكبر في فن صناعة الكتاب المخطوط لا سيما في مجالي التجليد و التذهيب و فن الخط العربي الذي تنوعت خطوطه و أقلامه.

كما تجدر الإشارة على أن المؤسسات الثقافية و العلمية بالجزائر تحتوي على العديد من المصاحف الشريفة، على غرار مصحف الجامع الكبير -نموذج الدراسة- المحفوظ في المتحف العمومي الوطني للآثار القديمة و الفن الإسلامي. و الذي يعد من نوادر المخطوطات التي ترجع إلى الفترة العثمانية و ذلك لأهميته التاريخية، و الفنية، و الرمزية.

إن الهدف من وراء هذه الدراسة هو إبراز المظاهر الفنية التي أخذت حيزا في صناعة الكتاب المخطوط عامة و ما تميز المصاحف الشريفة خاصة، كالأطر المتعلقة بالصفحات، و تعريفات سور القرآن الكريم، و أنواع الزخارف النباتية و الهندسيةالتي ازدانت بها هذه الصفحات و أطرها بمصحف الجامع الكبير.

1. المصحف الشريف: تعريفات و مفاهيم

القرآن في الإصطلاح هو كلام الله سبحانه و تعالى المنزل على سيدنا محمد – صلى الله عليه و سلم– باللغة العربية، المعجز المتعبد بتلاوته المكتوب في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة و المختوم بسورة الناس، و عُرف القرآن الكريم بأسماء

عديدة ورد ذكرها فيه أشهرها: القرآن الكريم، و الفرقان، و الكتاب، و النور المبين و النذير و الذكر[1].

أما الجمع، فالمقصود به حفظ القرآن في الصدور و كتابته في السطور، و قد بدأت هذه العملية في حياة الرسول -صلى الله عليه و سلم- حيث جمع القرآن حفظا و كتابة و قد تكفل الله سبحانه و تعالى بحفظه و جمعه، قال تعالى: " لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتعجل بِه إنّ عَلينَا جَمْعَهُ و قُرآنَه فإذَا قرَأنَاه فاتّبِع قُرآنَه ثُم إنّ عَلينا بَيَانه " سورة القيامة (الآية 16-19)[2]. و اجتمع رأي الجميع أن يسموه "المصحف" و هكذا ذاع صيت هذه الكلمة للدلالة على المصحف، و الأرجح أن هذه التسمية اشتقت من لفظة "صحف" و قد ورد ذكرها في القرآن الكريم في سورة البينة (الآية 1-3) و نصها:"لَم يَكُن الذِين كَفَروا مِن أَهلِ الكِتاب و المُشرِكين مُنفكين حتى تَأتيَهم البَيّنة رَسول مِن الله يَتلو صُحفًا مُطهرة فيها كُتب قَيّمة" و أيضا في سورة عبس (الآية 11-16) "كلاّ إنّها تَذكِرة فَمن شاءَ ذَكَره في صُحُف مُكرّمة مَرفوُعة مُطَهّرة بأيدي سفَرة كِرامٍ بَرَرَة".

و المصحف لغويا، هو ما يجمع فيه الصحف لذلك سمي المصحف مصحفا لجمعه الصحف، و هذا يعني أن المصحف أطلق على القرآن الكريم المحفوظ بين دفتين[3].

2- بطاقة تقنية للمصحف الموقوف على الجامع الكبير

طبيعة المصحف: تام

نوع التجليد: جلد لون التجليد: جلد بني محلى باللّون الذهبي

عدد الأوراق: 252 ورقة

---

[1] **محاسنة (محمد حسين)**: *أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين*، الطبعة الأولى، العين الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، 2000-2001، ص 34، 35.

[2] نفسه، ص 44.

[3] **عبد العزيز الدسوقي (شادية)**: *فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية*، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة، 2002، ص11.

مقاس الورقة / طول: 39.5 سم - عرض: 31 سم

عدد السطور بالصفحة: 15 سطرا
نظام السطر: منتظم

نوع الخط: خط الثلث
لون حبر الكتابة: أسود - لون حبر الشكل: أسود و أحمر - لون حبر الإعجام: أسود
الناسخ: محمد بن حسن بن مصطفى بن عبد الرزاق الشهير براسم زاده
التاريخ: 1141 هـ / 1729م
التوقيع: متوفر

مكان الحفظ: المتحف الوطني للآثار القديمة و الفن الإسلامي
رقم الجرد: P.026. II
مصدر الحصول عليه: الجامع الكبير بمدينة الجزائر[4]

3- نص وقف المصحف على الجامع الكبير

الملاحظ على الورقة الأولى من المخطوط أنها في حالة حفظ سيئة للغاية، و هي مفصولة عن باقي صفحات المخطوط، و تحتوي في جزئها السفلي على نص وقف المصحف من طرف الداي كورد عبدي الذي حكم في الفترة ما بين سنتي 1724م و 1733م و نصه كالتالي:" الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد و آله و صحبه و سلم تسليما وقف و حبس هذا المصحف الشريف عبدي باشا يسر الله تعالى مراده و ما يشاء وقفا صحيحا لا يباع و لا يرهن و لا يتبدل فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم سنــة1141 "

[4] توجد كتابتان أثريتان تتعلقان بالجامع الكبير بمدينة الجزائر، الأولى بالمنبر و تحمل تاريخ 490 هـ/ 1096م و الأخرى بلوحة رخامية تشير إلى تاريخ المئذنة و تحمل تاريخ 723هـ/ 1324م و اسم الحاكم أبي تاشفين.أنظر:
DEVOULX (A.) : *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Alger, Typographie Bastide, 1870, p. 93 ; **BOUROUIBA (R.)** : *L'art religieux musulman en Algérie*, Alger, S.N.E.D, 1983, p. 108.

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
وقف وحبس هذا المصحف الشريف عبدي باشا يسر الله تعالى
مراده وما يشاء وقفا صحيحا لا يباع ولا يرهن ولا يبدل فمن بدله
بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم
سنة ١١٤١

صورة 1 / نص وقف المصحف

و يحاذي نص الوقف في الهامش الأيسر ختم بتاريخ 1256 هـ مذيل بعبارة " الناظر المتولي خزانة الكتب سنة 1263 "

صورة 2 / ختم متولي الخزانة

4- المظاهر الفنية للمصحف

1.4- فن التجليد:

ظهر فن التجليد التركي خلال القرنين الثامن و التاسع للهجرة عندما قامت الدولة العثمانية في الأناضول، و منذ الأيام الأولى لتأسيس هذه الدولة عمل السلاطين على الاهتمام بالعلوم و الفنون و الصناعات و لا سيّما فنون الكتاب، بما فيه من خط و تصوير و تذهيب و تجليد، و قد ساهم في قيام هذا الفن الكثير من الصنّاع و الفنانين الذين جيء بهم من مصر و الشام و إيران، و كان أبرزهم صناع الفرس الذين تجلى تأثيرهم واضحا فيما وصل إلينا من أغلفة، حيث عمل هؤلاء الصناع في مدن تركية رئيسية[5]، حيث قدموا أو استقدموا إلى استانبول و أدرنة، و من هنا يمكن اعتبار التجليد العثماني بأنه استمرار لما كان عليه عند الأمم السابقة[6]، فطرق صناعته لا تختلف بشيء عن الطرق التي كانت تستخدم في إيران مثل طريقة الختم و الضغط و القالب و القطع...

أما الطرق التي اتبعها المجلد العثماني في تنفيذ زخارفه فهي لا تختلف عن تلك التي كانت مستخدمة في سائر أقطار العالم الإسلامي و استخدام الأغلفة الجلدية و بشكلها التقليدي السرة في الوسط و أجزاء من السرة في أركان المتن الأربعة، و تتميز الأغلفة التركية العثمانية بتشابهها مع الأغلفة الفارسية و إن كانت أكثر تطورا، فقد استخدم المجلد التركي جلودا مختلفة الألوان منها: الأسود و الأحمر القاني و الحمصي[7].

إلاّ أنّ هذه الأغلفة حظيت في العصر العثماني باطنا وظاهرا بزخارف غنية، و كانت التصميمات و التعبيرات الزخرفية التي اختارها الفنانون في زخرفة الجلود، قريبة جدا و متوافقة مع تلك التي اختاروها في فن التذهيب، و كانت تتوسط صحيفة الغلاف سرة مستديرة أو بيضاوية تعرف عند المجلدين باسم الشمس، أما

5**الداغستاني (بسام)** : *المخطوط العربي الإسلامي - حفظه و معالجته و ترميمه* -، دبي، الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، 2002، ص 26، 28.

6**مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987، ص 213.

7**الداغستاني (بسام):** المرجع السابق، ص 29، 30.

الأركان الأربعة لصحيفة الغلاف، فكانت تزخرف بما يعرف بحبك الزاوية، أو رباط الركن "كوشة بند" و إذا ما استطالت سرة الوسط عند طرفيها العلوي و السفلي، سميت بالشمس المصلوبة، و كانت هذه الأخيرة أيام السلاجقة و أوائل أيام العثمانيين تأخذ شكلا دائريا بصفة عامة، لكن ابتداءً من القرن السابع عشر و ما بعده بدأت تأخذ شكلا بيضاويا، و يتكون الغلاف أساسا من قطعة من الورق المقوى أو المضغوط، مكسوة بالجلد و أحيانا بالقماش، و تزوق بزخارف محفورة أو مضغوطة أو بالألوان[8].

-وصف غلاف المصحف: (صورة 3)

الدفة العليا: زُيّنت الدفة العليا من الخارج بإطار مستطيل تتوسطه سرة بيضية الشكل مفصصة تحتوي على زخرفة الرقش العربي؛ قوامها فروع و أزهار محورة يحدها من أسفلها و أعلاها دلايتان على شكل ورقة الأكانتس بنفس زخرفة السرة على أرضية ذهبية اللون و يزين أركان الدّفة أربعة ربط أركان على شكل كوابيل بحدود مزدوجة و يحيط بهذا التكوين الزخرفي إطار آخر يتشكل من ثمانية خراطيش ضلعية و أربعة خراطيش ركنية و يفصل بين الخرطوش و الآخر عنصر زخرفي على شكل معين صغير الحجم، و زين كل من هذه الخراطيش و المعينات بنفس زخارف السرة المركزية. أما التقنية المستعملة فهو أسلوب الضغط الذي جعل أرضية السرة و الخراطيش و العناصر النباتية تبرز عن باقي أجزاء التركيب الزخرفي الذي حدد بإطار نهائي بسيط.

الدفة السفلى: زينت من الخارج بنفس الطريقة المتبعة في تزيين الوجه الخارجي للدفة العليا.

اللّسان: زين من الخارج بنصف الزخارف المستعملة في الدفتين، حيث شُغل بنصف السرة البيضية الشكل التي احتوت عليها الدّفتان ليكمل شكل السرة الموجودة بالدفة السفلى عند وضعه فوق هذه الأخيرة في حالة الغلق.

8**آصلان آبا (اوقطاي)** : *فنون الترك و عمائرهم*، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية، 1987 ، ص 314.

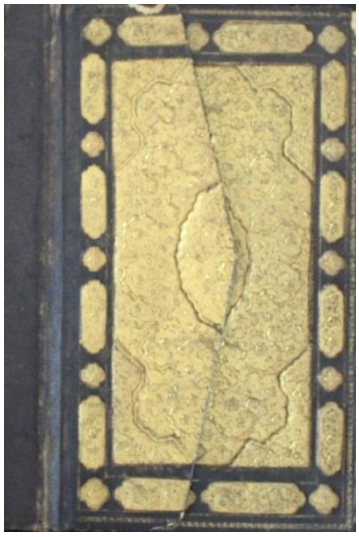

صورة 3 / غلاف المصحف

2.4- فن التذهيب و التلوين:

كان التذهيب في أول الأمر مقصورا على أجزاء معينة من صفحات المصحف مثل الشرطة التي تفصل بين السور بعضها و بعض، و الفواصل بين الآيات القرآنية و بعض العناصر الزخرفية التي تدل على أجزاء المصحف و أقسامه كالنصف و الربع، و كان الشريط أهم هذه الأجزاء جميعا و شكله في مبدأ الأمر مستطيل استطالة أفقية نظرا لأن المصاحف نفسها كانت مستطيلة فعرضها أكثر من طولها، و قد زينت هذه الأشرطة بعناصر زخرفية مختلفة، فنرى أحيانا المتشابكات و الجدائل، و أحيانا أخرى نجد رسوما هندسية من دوائر أو أجزاء من دوائر تتماس أو تتقاطع أو مربعات صغيرة[9].

و الملاحظ أن عرض الشريط لم يكن منتظما، إذ كان في جزء منه أكبر عرضا من باقي أجزائه في بعض الأحيان و يحدث ذلك عندما تنهي السورة في وسط الصحيفة، و في هذه الحالة يعمد المذهب إلى جعل الشريط في الجزء الخالي من

[9] **الأصمعي (محمد عبد الجواد)** : *تصوير و تجميل الكتب العربية في الإسلام و نوابغ المصورين و الرسامين من العرب في العصور الإسلامية*، القاهرة، دار المعارف، ص 78.

الكتابة أكثر عرضا عن غيره و ذلك إما بتكرار العناصر الزخرفية أو رسم عناصر معمارية، أما فواصل الآيات فكانت مجرد دوائر فاصلة في حين كانت علامات الأجزاء دوائر داخلها مربعات تتداخل مكونة أشكالا نجمية يكتب بداخلها ما يدل على الجزء من المصحف[10].

وفي القرن الثاني الهجري ظهرت كتابة أسماء السور داخل الأطر بحروف من الذهب، و في بعض المصاحف كانت هذه الزخارف شبيهة بما نجده على المنسوجات التي ترجع إلى نفس العصر الذي ينسب إليه المخطوط[11].

أما فواصل الآيات فالملاحظ أنها بدأت في المصاحف الأولى بترك فراغ بين كل آية و أخرى أوسع قليلا من الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل كلمة و كلمة، علما أن النبي -صلى الله عليه و سلم- عند تلاوته للقرآن الكريم كان يقف على رؤوس الآيات توجيها لأصحابه أنها رؤوس آيات، حتى إذا علموا ذلك وصل الآية بما بعدها طلبا لتمام المعنى و من هنا كان الناسخون يتركون فراغا بين كل آية و أخرى، و قد استغل هذا الفراغ المتروك برسم نقطة فيه على هيئة مثلث، ثم استبدلت النقط بشُرط رسمت فوق بعضها البعض، ثم أحيطت هذه الشُرط و تلك النقط بدوائر[12].

و الملاحظ على بعض المصاحف أنّ النساخين قد جعلوا بين كل خمس آيات دائرة كتبوا في داخلها رأس حرف الخاء، و كانت تسمى هذه الزخرفة بالتخميسات، كما جعلوا أيضا بعد كل عشر آيات دائرة كتبوا في داخلها رأس حرف العين، و كانت تسمى هذه الزخرفة بالتعشيرات، و آخر ما وصلت إليه فواصل الآيات استعمال دوائر بها زخرفة نجمية الشكل في وسطها في بعض الأحيان رقم الآية في السورة التي تتبعها. و تسير فواصل السور في الطريق نفسه الذي سارت فيه فواصل الآيات، فقد بدأت بترك فراغ بين كل سورة و أخرى أوسع من الفراغ الذي كان يترك عادة بين كل سطر و سطر و تجلت الخطوة الثانية في هذه الفواصل في ملء الفراغ الذي وجد بين كل سورتين بشريط من الزخرفة، و جاءت الخطوة الثالثة في فواصل السور في تضمين

---

[10] **الأصمعي (محمد عبد الجواد)** : المرجع السابق، ص 78.

[11] نفسه، ص 79.

[12] **مرزوق (محمد عبد العزيز)**: *المصحف الشريف -دراسة تاريخية و فنية-*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1975، ص 99.

ذلك الشريط الزخرفي إسم السورة التي يتوجها و قد يتضمن أيضا بيان ما إذا كانت السورة مكية أو مدنية[13]. و بمصحف الجامع الكبير وجدت بعض العناصر من أطر و علامات متخذة أشكالا و وضعيات متباينة.

-صفحتا البداية: (صورة4)

وردت صفحة الفاتحة مزينة بزخارف ذهبية، و زينت سورة الفاتحة بأطر تحتوي على زخارف الأرابيسك بألوان تتراوح بين الأزرق والأحمر و الذهبي و الأخضر و الأبيض و فيما تعلق بالعلامات فنجد علامات نهاية الآيات على شكل وريدات، أما إطار تعريف السورة فهو عبارة عن خرطوش بأرضية ذهبية وجد في هاتين الصفحتين دون باقي أطر الصفحات الأخرى من المصحف.

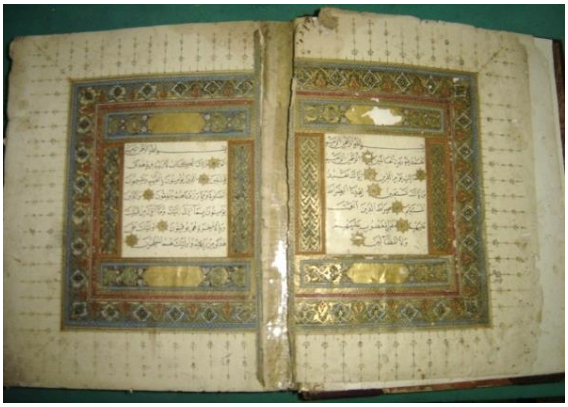

صورة 4 / صفحتا البداية

-صفحات المصحف: (صورة 5)

يتميز إطار صفحات المصحف عموما بالبساطة بحيث يتشكل من ثلاثة خطوط تضم بينها إطارا رفيعا بلون أصفر فاقع، و مما يميز هذه الصفحات أيضا أنها تحتوي على علامات نهاية الآيات على شكل وريدات بسيطة جدا تكونها دوائر صغيرة متشابكة و تلتقي فيما بينهابنقاط سوداء و حمراء، مع خلوها من علامات أرباع و أنصاف و نهايات الأحزاب و الأجزاء و السجدات بالحاشية، بل أشير إلى ذلك بحبر

[13] **مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *المصحف الشريف* ...، ص 100.

أحمر اللون و بخط واضح من نوع خط الثلث، و عرفت السور بالإشارة إليه بحبر لونه بني ذي بريق دون وضع هذا التعريف داخل إطار على غرار ما رأيناه سالفا في صفحتي البداية.

صورة 5 / صفحات المصحف

-ختام المصحف: (صورة 6)

تنقسم صفحة ختام المصحف إلى قسمين شُغل القسم الأعلى منها بسورة الناس، بينما خُصّص القسم الأسفل منها لإسم الناسخ و الدعاء و التاريخ ضمن مثلث مقلوب.

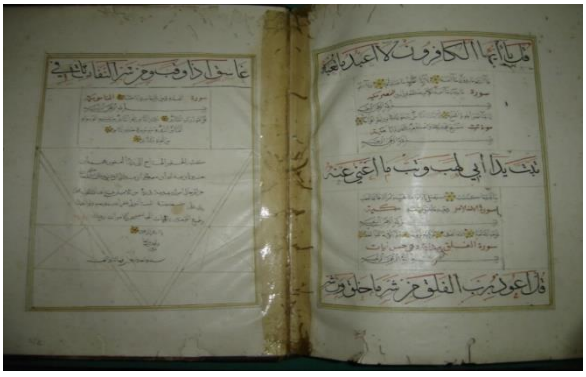

صورة 6 / ختام المصحف

-قيد الإنتهاء من النسخ و التوقيع: (صورة 7)

وجد اسم الناسخ و الدعاء و السنة في الصفحة الأخيرة من المصحف كما ذكرنا، و ورد النص كالتالي:

" كتبه الحقير المحتاج إلى ربه الغفور محمد ابن حسين ابن عبد الله ابن مصطفى ابن عبد الرزاق الشهير براسم زاده بن سلطان جزاير حاليا مولده بمدينة قندية من تلاميذ سيد عبد الله افندى مولده عجله يدي قله بقسطنطينية الستانبولي غفر الله ذنوبهم و لوالدي و لجميع المؤمنين و المؤمنات الحياء منهم و الأموات

برحمتك

يارحم الراحمين.

و الحمد لله رب العالمين.

سنة واحد و أربعين و مائة و ألف. "

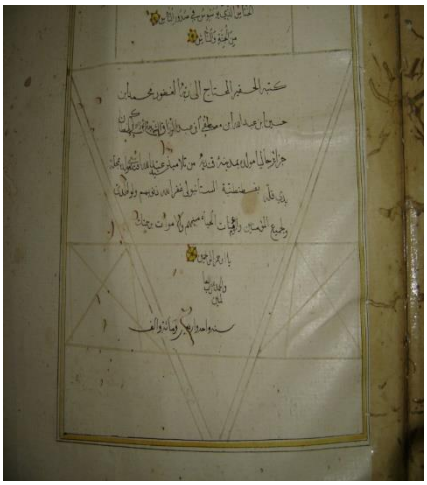

صورة 7 / قيد الإنتهاء من النسخ و التوقيع

-علامات الحاشية:

إن زخرفة الهوامش الجانبية للصفحات في المصحف الشريف أبرز ما نراه فيها هو الدوائر المتشمسة التي تتضمن في بعض الأحيان الإشارة إلى أحزاب المصحف أو أجزائه، و يطلق على هذه الزخرفة اسم "شمسة" أخذا من مشابهتها للشمس[14]. تعتبر الشمسة من أهم علامات الحاشية عموما و هي عنصر زخرفي على شكل دائرة بيضاوية تكون عادة مذهبة و مرصعة بزخارف إشعاعية تخرج من جوانبها مما دعا

[14] **مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *المصحف الشريف* ...، ص 101.

إلى تسميتها بالشمسة لتشابهها مع نجم الشمس، و غالبا ما نجد في وسط الشمس عنوانا يتضمن اسم مالك المخطوط أو اسم من خُطّ لأجله داخل جامات و غالبا ما تدون الكتابات بخط ملون أو مذهب أو أبيض يختلف عن خط متن الكتاب، و توجد زخرفة الشمسة عادة بعد عدة صفحات من بداية المخطوط في صفحة تقع في الجهة اليسرى لمن يفتح الكتاب[15]. و استعملت الشمسة بحجم صغير للدلالة و الإشارة إلى أرباع و أنصاف و تمام الأحزاب و في هذه الدراسة وجدنا أن المصحف الموقوف على الجامع الكبير قد احتوى على كلمات تشير إلى أجزاء المصحف دون شمسات.

-علامات أرباع الأحزاب:

جاءت علامات أرباع الأحزاب في مصحف الجامع الكبير مكتوبة في الحاشية بعبارة "**ربع**" منفذة بخط الثلث و بحبر أحمر (صورة8).

صورة 8 / علامة الربع بالحاشية

-علامات أنصاف الأحزاب:

أشير إلى نصف الحزب بمصحف الجامع الكبير بواسطة الكتابة إذ نجد عبارة نصف الحزب مكتوبة بخط الثلث و بحبر أحمر بالحاشية (صورة9).

[15] **نوار (سامي)**: *فن صناعة المخطوط الفارسي*، ط1، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، ص 48، 49.

صورة 9 / علامة نصف الحزب بالحاشية

-علامات تمام الأحزاب:

وردت علامة تمام الحزب بمصحف الجامع الكبير بطريقة الكتابة كذلك، على غرار الأرباع و الأنصاف (صورة 10).

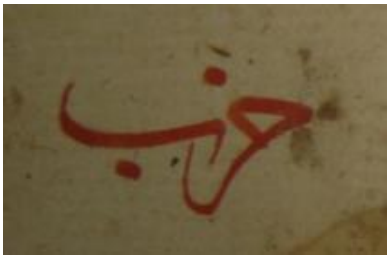

صورة 10 / علامة تمام الأحزاب بالحاشية

-علامات سجدة التلاوة:

وردت علامة السجدة بحاشية مصحف الجامع الكبير عن طريق كتابة كلمة "**سجدة**" بالجهة اليسرى بخط الثلث و بحبر أحمر (صورة 11).

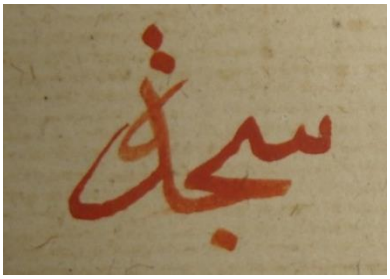

صورة 11 / علامة سجدة التلاوة بالحاشية

-علامات المتن: علامات نهايات الآيات

نجد علامات نهايات الآيات على شكل وريدات بصفحتي البداية و في صفحات المصحف وردت على شكل وريدات بسيطة جدا تكونها دوائر صغيرة متشابكة و تلتقي فيما بينهابنقاط سوداء و حمراء.

الأطر:

إطار صفحتي الفاتحة و بداية سورة البقرة: (شكل 1 -2 -3)

تميزت أطر صفحات البداية في مصحف الجامع الكبير بالإتقان في التنفيذ و التنسيق بين الألوان المستعملة، إذ نجد أن كلا من صفحة سورة الفاتحة و بداية سورة البقرة أحيطت بإطارين كبيرين شُغلا بزخارف الرقش العربي و قوامه العديد من أنصاف المراوح النخيلية المنفذة باللون الذهبي على أرضية خضراء، و تتخللها في الإطار الخارجي أشكال لوزية باللون الآجوري الفاتح، و يحيط بهذين الشريطين أشرطة دقيقة بالألوان الذهبي و الأحمر و الأزرق.

أطر الصفحات:

تميزت أطر صفحات مصحف الجامع الكبير بالبساطة الشديدة، إذا أحيط النص القرآني بإطار دقيق باللون الأصفر الفاقع.

إطار صفحات ختام المصحف:

جاء إطار صفحات تمام أو ختام المصحف بمصحف الجامع الكبير بسيطا على غرار سائر الصفحات.

إطار إسم وتعريف السورة:

ورد إطاران بصفحتي البداية بمصحف الجامع الكبير إلا أنها خالية من أي تعريف للسورة أما باقي السور فقد أشير إلى تعريفها بعد انتهاء ما قبلها من آيات السورة السابقة.

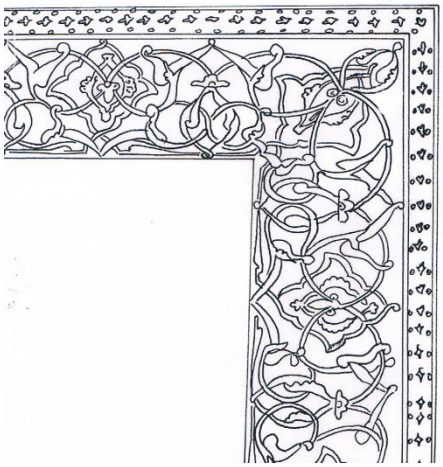

شكل 1 / إطار صفحتي الفاتحة و بداية سورة البقرة

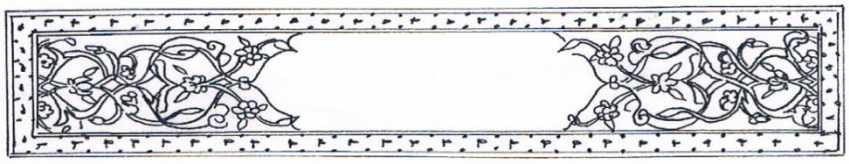

شكل 2/ إطار صفحتي الفاتحة و بداية سورة البقرة

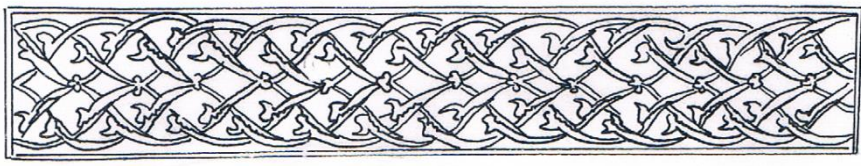

شكل 3/ إطار صفحتي الفاتحة و بداية سورة البقرة

3.4- فن الخط

-نوع الخط: خط الثلث

يعتبر خط الثلث خطا متطورا عن خط النسخ، و قد سمي كذلك لأن حجمه يساوي ثلث حجم النسخ الكبير الذي كان يكتب به على الطومار، و الطومار هو الدرج أو الملف المتخذ من البردي أو الورق، و كان يتكون من عشرين جزءًا تتلاصق أفقيا ثم يلف على شكل أسطواني، و كان يستعمل في الكتابة عليه الخط النسخي الكبير، الذي عرف بخط الطومار و الذي تولد منه خط الثلث.[16] ففي أواخر الدولة الأموية استنبط قطبة المحرر خطا من الخطين الكوفي و الحجازي، و اخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني و نحوها و قلم الطومار و هو أصغر أنواع الجليل[17]. و يقال أن ابن مقلة هو الذي اخترع خط الثلث و لكن الذي اخترعه هو ابراهيم الشجري (ت: 200 ه)، و قد بين ذلك القلقشندي حيث قال "و إبراهيم الشجري و كان أخط أهل دهره -أخذ عن إسحاق (إسحاق بن حماد)- الجليل و اخترع منه قلما أخف منه سماه قلم الثلثين ثم اخترع من قلم الثلثين قلما سماه الثلث[18].

لقلم الثلث قسمان هما: ثقيل الثلث الذي حجمه يساوي ثمان شعرات و خفيف الثلث و هو أدق منه قليلا، و الفرق بينهما أن الثقيل تكون منتصباته و مبسوطاته قدر سبع نقط على ما في قلمه، أما الخفيف فيكون مقدارها خمس نقط.

رسم خط الثلث على صورتين: صورة المحقق و صورة المطلق، أما صورة المحقق فهو خط الثلث الذي تحققت حروفه و تقيدت بالنسبة الفاضلة و تكون مفرودة على السطر، مع عدم تزاحم الحروف فاستتبع ذلك رسم بعض الحروف بالصورة المرسلة مثل الراء و الواو و ما شابههما، أما صورة المطلق فيقصد بها خط الثلث المطلق الذي لم ترسم حروفه محققة و كتبت دون التقيد ببعض النسب و

---

[16] **مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *الفنون الزخرفية* ...، ص 175.

[17] **فضائلي (حبيب الله)** : *أطلس الخط و الخطوط*، ترجمة: محمد التونجي، دمشق، مكتبة دار طلاس، 1993، ص 228.

[18] **عفيفي (فوزي سالم)** : *خط الثلث -تطوره جمالاته و وسائل تجويده-*، القاهرة، مكتب ممدوح، 1991، ص 9.

القواعد و هكذا أصبحت لخط الثلث صفتان هما المحقق و المطلق، و لا يمكن اعتبارهما نوعين له بل صفات له و بالإضافة إليهما هناك التراكيب، الجلي و التشابك و الزخرفي و الهندسي و المتعاكس و هي صفات أيضا لخط الثلث لا أنواع له، أما أنواع الثلث فتتمثل في الثلث الثقيل و النصف و الثلثان[19].

-نظام السطر: يمتاز نظام سطره بالوضوح و انسجام كلماته و اتزان حروفه، و توافق العراقات و اتساع ما بين السطور.

-قطة القلم: قطة القلم مدورة دقيقة مستوية أنتجت حروفا نظيفة و رقيقة.

-الشكل و الإعجام: استعمل اللون الأسود في الشكل و الإعجام.

-كتابة سورة الفاتحة: كتبت فاتحة الكتاب بخط الثلث و باللون الأسود، مع استمداد بعض الحروف كالتاء و الحاء و السين و العين و النون و تتميز بكبر حجمها و تناسبها و يغلب عليها التدوير و الإدغام.

-كتابة أسماء و تعريفات السور: كتبت أسماء و تعريفات السور بخط عليه آثار من الخط الفارسي و جاءت باللون الأحمر عند انتهاء السورة التي قبلها دون وضعها داخل أطر.

-كتابة الآيات: استعمل الحبر الأسود في كتابة نصوص الآيات بخط الثلث و استعمل الثلث الجلي لكتابة بعض الآيات حتى يتم بواسطتها تقسيم الورقة إلى أجزاء متساوية و متناسبة، مما أعطى للمصحف ميزة خاصة.

-كتابة ختام المصحف: ورد في ختام المصحف بالإضافة إلى قصار السور اسم الناسخ و الدعاء و التاريخ و استعمل نفس الخط و الحبر لكتابتها.

-خاتمة:

في خلاصة هذا البحث يمكننا القول بأنا مصحف الجامع الكبير تحفة من النوادر التي تزخر بها المؤسسات الثقافية بالجزائر، و هو يعطي بذلك النموذج الكامل للمصاحف العثمانية كونه يتميز بخصائص فنية متعددة سيما فن التجليد و التذهيب الذي استعملت فيه العديد من التقنيات و الأساليب الدقيقة التي نُفذت بها العناصر الزخرفية و ازدانت بها تلك المصاحف العثمانية عموما و مصحف

[19] **عفيفي (فوزي سالم)** : المرجع السابق، ص 276.

الجامع الكبير بصفة خاصة، حيث احتوى على مجموعة متنوعة من الأطر الخاصة بالصفحات أو تعريف السور، كما أنه احتوى على بعض العلامات التي تشملها المصاحف و هي علامات الحاشية كأرباع الاحزاب و أنصافها و كذا تمام الاحزاب و علامة سجدة التلاوة، كما أن المصحف تضمن اسم الناسخ و تاريخ النسخ و كذلك نص الوقف الذي ورد فيه تاريخ الوقف و صاحب الوقف و المسجد الذي وقف له إضافة إلى بعض الصيغ و العبارات الدعائية و أسماء بعض المشرفين على الجامع كمتولي الخزانة و هي قيمة علمية بالغة الأهمية في مثل هذه الدراسات و تساهم مساهمة واسعة في علم الكوديكولوجيا.

قائمة المصادر و المراجع:

باللغة العربية:

-**آصلان آبا (أوقطاي)**: *فنون الترك و عمائرهم*، ترجمة: أحمد محمد عيسى، استانبول، مركز الأبحاث للتاريخ و الفنون و الثقافة الإسلامية، 1987.

-**الأصمعي (محمد عبد الجواد)** : *تصوير و تجميل الكتب العربية في الإسلام و نوابغ المصورين و الرسامين من العرب في العصور الإسلامية*، القاهرة، دار المعارف.

-**الداغستاني (بسام)** : *المخطوط العربي الإسلامي -حفظه و معالجته و ترميمه-*، دبي، الدورة العربية الخامسة لترميم المخطوطات، 2002.

-**الدسوقي (شادية عبد العزيز)**: *فن التذهيب العثماني في المصاحف الأثرية*، الطبعة الأولى، القاهرة، دار القاهرة، 2002.

-**عفيفي (فوزي سالم)** : *خط الثلث -تطوره جمالاته و وسائل تجويده-*، القاهرة، مكتب ممدوح، 1991.

-**فضائلي (حبيب الله)** : *أطلس الخط و الخطوط*، ترجمة: محمد التونجي، دمشق، مكتبة دار طلاس، 1993.

-**محاسنة (محمد حسين)**: *أضواء على تاريخ العلوم عند المسلمين*، الطبعة الأولى، العين الإمارات العربية المتحدة، دار الكتاب الجامعي، 2000-2001.

-**مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني*، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987.

-**مرزوق (محمد عبد العزيز)** : *المصحف الشريف -دراسة تاريخية و فنية-*، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
-**نوار (سامي)** : *فن صناعة المخطوط الفارسي*، ط1، الإسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر.

باللغة الأجنبية:

-**BOUROUIBA (R.)** : *L'art religieux musulman en Algérie*, Alger, S.N.E.D, 1983.
-**DEVOULX (A.)** : *Les édifices religieux de l'ancien Alger*, Alger, Typographie Bastide, 1870.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 3 Issue 1 pp. 80-101
Issn: 2800-1184
Received: 06/06/2023 Accepted: 21/06/2023 Published:30/06/2023

El inicio del reinado de Felipe III, el final de la política defensiva en el Mediterráneo contra el Imperio Otomano

The beginning of the reign of Felipe III, the end of the defensive policy in the Mediterranean against the Ottoman Empire

Bunes Ibarra Miguel Ángel♦
IH-CSIC, Madrid
e mail: miguel.bunes@cchs.csic.es

ملخص :

بداية عهد فيليبي الثالث، نهاية السياسة الدفاعية في البحر الأبيض المتوسط ضد الدولة العثمانية

تتميز بداية عهد فيليب الثالث بالصفات الأساسية لبدء سياسة نشطة للغاية في البحر الأبيض المتوسط. كان الشاغل الرئيسي هو تدمير مدينة الجزائر، و هذا هو سبب تنظيم حملة غزو في عام 1601. أدى فشل جيش جنوة في المدينة العثمانية إلى إيجاد طريقة جديدة، كان لا بد من تنفيذها، لمحاولة الحد من تصرفات القراصنة عن طريق البحر و الإنكشارية عن طريق البر. لتنفيذ هذه السياسة، حاول النظام الملكي إيجاد حليف في الإقليم لإلهاء الجزائريين و منع أعمالهم البحرية و البرية. لهذا السبب سعوا إلى حليف في المنطقة، و شرعوا في سياسة عسكرية و دبلوماسية نشطة مع منطقة القبايل و حكامها.

الكلمات المفتاحية :

فيليب الثالث؛ الملكية الإسبانية؛ الجزائر العثمانية؛ ملك كوكو.

Abstract:

The beginning of the reign of Felipe III has the essential characteristics of starting a very active policy in the Mediterranean. The main concern was to destroy the city of Algiers, which is why a conquest campaign was organized in 1601. The failure of the Genoa

♦ **Corresponding Author**

army in the Ottoman city meant that a new way of trying to limit the actions of the corsairs by sea and the janissaries by land had to be implemented. To carry out this policy the monarchy tried to find an ally in the territory to distract the Algerians and prevent their maritime and land actions. For this they sought an ally in the territory, initiating an active military and diplomatic policy with Kabylia and its rulers.

Keywords:
Felipe III; Hispanic Monarchy; Ottoman Algeria; King of Cuco.

Felipe III se propuso, desde el principio de su reinado, pasar a la historia como el rey que logró terminar con la ciudad de Argel y con el peligro otomano en la Berbería central. De esta manera intenta igualarse con las acciones emprendidas por su abuelo, Carlos V, cuando en 1541 intento conquistar esta urbe. Al igual que sus antecesores, el fracaso fue el gran resultado de los enormes esfuerzos que se realizaron a lo largo de todos los años de su reinado, que se inician con el desastre de 1601, que coincide con la derrota irlandesa de Kinsale[1], y concluyen con el abandono de la muy documentada, además de conocida por el enemigo, *jornada secreta* en los albores del inicio de la guerra de los Treinta Años[2]. En los primeros meses de su gobierno se prepara una enorme empresa realizada por navíos genoveses, lo que pone en peligro la política de pacificación que inicia su padre después de la batalla de Lepanto[3]. El fracaso será el resultado último de la empresa[4], y

[1]**RECIO MORALES (Oscar)** : *El socorro de Irlanda en 1601 y la contribución del ejército a la integración social de los irlandeses en España*, Madrid, Ministerio de Defensa, 2002.
[2]**BUNES IBARRA (Miguel Ángel)** : « La jornada secreta de Argel: recursos de la Monarquía de Felipe III para la organización de una operación anfibia », in *La Organización de los ejércitos*, E. Martínez Ruiz, J. Cantera Montenegro y M. De Pazzis Pi Corrales, t. 1, Madrid, Cátedra Extraordinaria complutense de Historia Militar, 2016, pp. 594-626.
[3]**RODRÍGUEZ SALGADO (María José)** : *Felipe II, el "Paladín de la Cristiandad" y la paz con el turco*, Valladolid, Universidad de Valladolid, 2004.

tendrás consecuencias evidentes para la persona que la protagoniza[5] y para toda la política de Felipe III con respecto al Imperio Otomano.

El fracaso en Argel es uno de los desencadenantes de que se mantenga un elemento típico de la política defensiva establecida por Felipe II, como es las negociaciones con sultanes o autoridades intermedias para generar inestabilidad en los territorios de los adversarios. Esta manera de plantear las relaciones diplomáticas con los musulmanes será realizada de forma continua y constante por Felipe III y las personas encargadas de realizar la acción política en este espacio[6]. Los grupos beréberes de la Kabilia argelina siempre habían jugado un papel muy importante en la consolidación del poder otomano en la actual Argelia, tanto en un sentido positivo como negativo[7], por lo que su petición de ayuda será atendida con enorme prontitud. La idea de entrar en contacto con este gobernante, perteneciente a la familia de Ben al Cadi, Amar ben Amar bel Cadi, llamado siempre rey del Cuco en toda la documentación hispana, procede de los últimos años de la época de Felipe II[8], aunque las negociaciones reales se extienden desde 1598 a 1610[9]. Las dificultades otomanas para asentarse en las tierras

---

[4]**CONESTAGGIO (Girolamo Franchi de)** : *Relación de los aparatos para ocupar Argel, enviada por Gerónimo Conestagio a Nicolao Petrochino, proveedor de la Casa de Indias,* Biblioteca Nacional de España (BNE), Mss/9855, 164v.-178r.

[5]**LOMAS CORTÉS (Manuel)** : « Juan Andrea Doria y la cesión del Marquesado de Finale », in *Tierra de confluencias, Italia y la Monarquía de España: siglos XVI-XVII*, Cristiana Bravo Lozano y Roberto Quirós Rosado, coord., Valencia, Ed. Albatros, 2013, pp. 111-128.

[6]**BUNES IBARRA (Miguel Ángel)** : *Políticas de Felipe III en el Mediterráneo, 1598-1621,* Madrid, Polifemo, 2021.

[7]**DE LA VERONNE (Chantal)** : *Oran et Tlemcen dans la première moitié du XVI^e siècle,* Paris, 1983.

[8]**RODRÍGUEZ JOULIA SAINT CYR (C.)** : *Felipe III y el rey del Cuco,* Madrid, CSIC, 1954. pp. 35-55.

[9]**BOYER (Pierre)** : « Espagne et Kouko. Les négociations de 1598 et 1610 », *Revue de l´Occident musulman et de la Méditerranée*, 8, 1970, pp. 25-40 ; **PLANAS (Natividad)** : « Diplomacy from Below or Cross-Confessional Loyalty? The “Christians of Algiers” between the Lord of Kuko and the King of

interiores del Magreb serán aprovechadas por los cristianos para intentar debilitar a los corsarios otomanos asentados en la ciudad de Argel. De cualquier manera, las relaciones con el soberano del Cuco también se plantean desde la idea de tener un aliado dentro del mismo espacio para poder pasar a la conquista de la ciudad.

El nuevo sesgo que tienen los planes políticos del nuevo soberano de la Monarquía Hispánica se pone en evidencia desde los primeros días de su gobierno. Los informes de los espías y los avisos de rescatadores y cautivos llevaban meses refiriendo la inestabilidad que existía dentro de los órganos directivos de Argel, gobernación muy compleja ya que en ella coincidían grupos humanos de orígenes e intereses contrapuestos en muchas ocasiones, además de que los Bajá, los sustitutos de los antiguos Beylerbeys que se crean después de la tregua entre Felipe II y Murat III[10], o gobernadores de la ciudad, designados por los lejano sultanes de Estambul cada tres años no siempre son bien recibidos por los diferentes grupos de poder de la Regencia[11] (jenízaros y la Taifa de los Reis). Ya desde mediados del siglo XVI, en las designaciones de los mismos, se había introducido la práctica de la venalidad para alcanzar el cargo, lo que supone que muchos de ellos

---

Spain in the Earrly 1600s », *Journal of Early Modern History*, 9, 2015, pp. 153-173; **SEGUÍ BELTRÁN (Andreu)**: « El regne de Mallorca i l´aliança amb el regne de Cuco (1598-1608) », in *XXXI Jornades d´Estudis Històrics Locals. La Barbaria i les Balears, les relacions entre Tunis i l´arxipèlag al llarg de la història*, Palma, Instutut d´Estudis Baleàrics, 2019, pp. 299-311.

[10]**WOODHEAD (Christine)** : « Murad III and the Historians: Representations of Ottoman Imperial Authority in Late 16th-century Historiography », in Hakan T. Karateke and Maurius Reinkowki (eds.), *Legitimizing the Order: The Ottoman Rhetoric of State Power*, Leiden, Brill, 2005, pp. 85-98.

[11]**DE HAEDO (Diego)** : *Topografía e historia general de Argel…,* Valladolid, Diego Fernández de Córdoba, 1612, ed. de Ignacio Bauer Landauer, Madrid, Sociedad de Bibliófilos Españoles, 1927-1929. Sobre la autoría de este texto se ha generado un gran debate en los últimos años, en especial por **SOLA (Emilio)** y **DE LA PEÑA (José Francisco)** : *Cervantes y la Berbería (Cervantes, mundo turco Berberisco y servicio secreto en la época de Felipe II)*, Madrid, FCE, 1995; **GARCÉS (María Antonia)** : *Cervantes en Argel: historia de un cautivo*, Madrid, Gredos, 2005.

inicien rápidamente las gestiones tendentes a recuperar velozmente lo invertido cuando toman posesión de su mandato, además de entregar fuertes cantidades de dinero para contentar a los jenízaros y a los otros grupos humanos próximos a su gobernanza[12]. Las complejas relaciones entre el Bajá y las élites turcas (jenízaros del ocak) y corsarias (Taifa de los Reis) es un elemento que supone un poder inestable y cambiante, situaciones que será intentado aprovechar por grupos disidentes. El Argel otomano siempre tuvo el problema de la relación con la población musulmana asentada en el territorio, incluida la que vive dentro de las murallas de la ciudad, lo que explica que los avisos que se mandan desde la urbe insistan en que salir a recaudar los impuestos, garrama según la documentación que procede de los informantes cristianos de la ciudad, requiere la organización de empresas militares que atañen a la mayor parte de la milicia argelina. Este momento, cuando coincide con la época en la que las armadas argelinas salen a realizar las expediciones de corso será el aprovechado para intentar atacar la ciudad por las armadas cristianas al existir un menor número de defensores. Además, son planes preparados al contar con la hipotética ayuda de renegados, sublevaciones de cautivos o el respaldo de población árabe del territorio enfrentada a los otomanos, lo que vuelve a recordar la manera de organizar las empresas de conquista por parte de Caros V. Las continuas informaciones que proceden de Argel, noticias que vienen por medio de avisos, informes que dan los cautivos liberados o fugados y las relaciones que hacen los comerciantes, en especial los franceses cuando recalan en Valencia y Mallorca, serán los elementos que sean estudiados por virreyes y miembros de los Consejos para autorizar estas empresas.

En alguna manera, Felipe III realizará una política semejante con los dos antagonistas musulmanes más evidentes de los otomanos en los territorios cercanos, los safavidas persas en orientes y los beréberes de la Kabilia en occidente. Las

[12]**BOYER (Pierre)** : art. cit., pp. 25-40.

características de las relaciones serán bastante parecidas a lo largo del reinado, ya que existe una voluntad evidente por parte de Felipe III de llevar a la culminación esta colaboración, la realidad de los diferentes problemas a los que hay que atender generaran un relativo descontento de sus aliados por el incumplimiento de muchas de las promesas y planes conjuntos que habían preparado.

La petición de colaboración de los jefes de Kabilia, recibida en 1595[13] y repetida en fechas posteriores, hay que enmarcarla en la larga lista de personas que se acercan a la Monarquía por todo el Mediterráneo, incluidas algunos de los rebeldes internos del Imperio Otomano, que se ofertan para protagonizar sublevaciones, facilitar la conquista de ciudades o preparar acciones militares para debilitar al adversario. En muchas ocasiones estos personajes fueron escuchados y atendidos por las autoridades, y sus planes llegaron a ser leídos y discutidos en el Consejo de Estado, financiando y colaborando en los ofrecimientos de navegantes o de renegados que prometían facilitar una conquista para reconciliarse con su antiguo príncipe. En el caso en concreto de las primeras conversaciones entre el Cuco y Felipe III hay que reconstruirlas desde una carta que remite del musulmán a Felipe III en los primeros días de su gobierno:

> "Vuestras cartas al Rey N. S., mi padre, que aya gloria, y para mi se recibieron los días pasados por donde entendí vuestro buen intento y la voluntad que tengo demostrarles por obra que conforma bien con lo que se podía esperar de vuestra persona"[14].

En la carta Felipe III informa a su posible aliado de la satisfacción que tiene con su petición. El monarca realizará una cesión de la gestión de sus acciones con respecto a las diferentes cuestiones que debe de hacer con las distintas autoridades musulmanas en función de la proximidad geográfica. Los tratos con Persia se llevan directamente desde la Corte, como también por

[13]**RODRÍGUEZ JOULIA SAINT CYR (C.)** : *op. cit.*, pp. 38-40.
[14]AGS, Estado, Leg. 184, *Carta al Rey de Cuco s.f.* [1599].

medio de autoridades portuguesas, ya sea desde Lisboa o de Ormuz[15]. Con las actuales tierras que componen el actual reino de Marruecos la gestión se lleva desde Sanlúcar de Barrameda, localidad en la que reside el VII duque de Medina Sidonia[16]. Para realizar la intermediación con la Kabilia, el lugar elegido son las islas Baleares, recayendo este trabajo en su virrey, dado la proximidad con Argelia y la tradicional relación que se tiene históricamente con esta región desde la Edad Media[17], situación que se mantendrá activa hasta 1610.

La derrota de Doria ante la ciudad corsaria es la razón última de que Cuco se transforme en el aliado directo de la Monarquía para intentar acabar con Argel o para reducir el número de los ataques corsarios desde los puertos que controla el Bajá en estos años. El fracaso de la expedición, consecuencia directa de la falta de voluntad del capitán general de la expedición, además de los fallos logísticos que ocurren cuando la armada se está aproximando a las murallas de la ciudad, le convencen de la necesidad de contar con un aliado musulmán para aumentar sus posibilidades de éxito cuando preparen una nueva empresa. Resulta difícil referir el tipo de relación que quiere llevar Felipe III con su aliado magrebí, ya que en ningún momento se expresan los caracteres de la misma, además de que la delegación de la política con la Kabilia en la figura del virrey de las Baleares conlleva la pérdida de las ideas originales del Rey. Aunque se remiten continuas órdenes a las autoridades de las islas, la lejanía de Palma de Mallorca con la

[15]**GIL FERNÁNDEZ (Luis)** : *El Imperio luso-español y la Persia Safávida*, Madrid, FUE, 2006.

[16]**SALAS ALMELA (Luis)** : *Colaboración y conflicto. La capitanía General del Mar Océano y Costas de Andalucía, 1588-1660*, Córdoba, Universidad de Córdoba, 2002; **SALAS ALMELA (Luis)** : *Medina Sidonia. El poder de la aristocracia. 1580-1670*, Madrid, Marcial Pons, 2008.

[17]Felipe III encarga al virrey Zanoguera que mando lo necesario para el Cuco por medio del embajador Cid Mahamet Berramar, y que la ciudad de Palma centralice las acciones que se llevan con este príncipe. Cf. AGS, Estado Leg. 196, Al Virrey de Mallorca, Valladolid, 02-02-1603.

Corte y la intervención de nuevos personajes en las negociaciones que se emprenden suponen que se introduzcan nuevos elementos. En el caso concreto de la actuación que se realiza con la Kabilia en los primeros años del siglo XVII, lo que se pretende por parte de Lerma y Felipe III es conquistar la ciudad de Argel, deseo que se mantendrá a lo largo de todo el reinado. Los cristianos que intervienen en los primeros tratos tienen unos objetivos mucho más modestos, como son asentar la colaboración entre las autoridades de ambos lados del Mediterráneo.

El protagonista real del segundo intento de conquista de la ciudad de Argel será el franciscano Mateo de Aguirre, aunque el jefe militar es Joan de Cardona y Requesens, un viejo soldado de la época de Lepanto[18]. El papel de los franciscanos, tanto de las Baleares como de Cerdeña, resulta imprescindible en estos años, por lo que alteran los planes originarios al ser realizados por unas personas que conocen mucho mejor la realidad de este territorio que los miembros de los órganos centrales de la administración de la Monarquía. El religioso, junto a otros mallorquines, se ha desplazado a la Kabilia y hace de enlace entre los cristianos y los musulmanes hasta su muerte[19], siendo el verdadero artífice de los tratos entre los dos estados mediterráneos[20]. Un hermano del

[18]Sobre las noticias del ataque a Argel en 1602. Cf. AGS, Estado, 1951. Entre las cartas que acompañan a las relaciones aparecen varias de Diego de Urrea, hombre también interesado en el tema argelino, y opiniones de Lerma sobre las embajadas del Cuco.

[19]Sobre los diferentes mediadores que actúan entre Felipe III y el Cuco véase, en especial la figura del franciscano Mateo de Aguirre, **PLANAS (Natividad)**: « Une culture en partage. La communication politique entre Europe et Islam aux XVI^{e} et XVII^{e} siècles », in *Les musulmans dans l´histoire de l´Europe II. Passages et contacts en Méditerranée*, Jocelyne Dakhlia et Wolfgang Kaiser (dir), Paris, Albin Michel, 2013, pp. 276-278 y 290-297.

[20]"Está allí un fraile francisco, llamado fray Mateo de Aguirre, el cual pasó allá con la pólvora y municiones que de acá se han inviado para armar aquella gente, porque estaban muy desapercibidos de estas cosas, que no es pequeño inconveniente, para saber usar de ellas no habiéndolas ejercitado: plegue a Dios lo encamine todo como se acierte. Estuvieron aquí en secreto con S. M. los rehenes que vinieron de África, y los mandaron volver a Cartagena". Cf.

soberano, acompañado por uno de sus hijos, desembarcan en Valencia y el conde de Benavente les despacha a la Corte para tratar con Felipe III y Lerma el acuerdo de colaboración, refiriendo siempre el musulmán la necesidad de recibir pertrechos y la ayuda militar por medio del envío de una armada al Magreb. Es uno de los tratos más interesantes de la nueva diplomacia que se establece en estas mismas décadas entre la Monarquía y los poderes musulmanes, tema que está siendo tratado en la actualidad por varios equipos de investigación[21].

El Cuco era el aliado perfecto ya que lleva años interviniendo en los asuntos argelinos, además de que ocupa las tierras interiores de la actual Argelia, lo que explica la importancia que tiene su alianza para poder aislar a la ciudad corsaria dependiente de la Sublime Puerta. El bereber se presente como la persona que controla las tierras que se extienden desde Tremecén hasta Bugía, como se corrobora desde Orán, por lo que es el aliado perfecto para controlar los movimientos de Argel. Felipe III se muestra muy respetuoso con el gobernante musulmán, lo que recuerda directamente los tratos de Carlos V con los diferentes miembros de la dinastía Hafsí. A finales de agosto Zanoguera manda a Buenaventura Doménech para comunicar al franciscano la próxima llegada de una potente flota que se está montando en Sevilla, Cádiz, Cartagena y Palma de Mallorca, demostración del cumplimiento de las condiciones que el musulmán había pedido al monarca hispano para convertirse en aliados. Esta noticia lleva al Cuco a declarar la guerra a Argel, no reconociendo la soberanía del Bajá y negándose a pagarle los impuestos, lo que se celebra en la Corte al desestabilizar Argel.

CABRERA DE CÓRDOBA (Luis) : *Relaciones de las cosas sucedidas en la Corte de España desde 1599 hasta 1614*, Valladolid, Junta de Castilla y León, 1977, p. 153.

[21]**CAPRIOLI (Francesco)** y **GONZÁLEZ CUREVA (Rubén)**, eds : *Reconocer al infiel. La representación en la diplomacia hispanomusulmana (siglos XVI y XVII)*, Madrid, Silex, 2022.

El viejo almirante Cordona, que en este momento ejercía de virrey de Navarra, acogió bajo su mando las galeras de Nápoles, Sicilia, Génova y los navíos embargados en el puerto de Sevilla. La preparación de la armada se hizo con excesiva rapidez, por lo que con prontitud se empezaron a verificar y apreciar deficiencias y problemas. Las diferentes escuadras se habían reunido en Cádiz, levantándose compañías de soldados de Andalucía, y a la llegada de las galeras de Génova al mando de Carlos Doria, parte la armada para en Gibraltar y en Cartagena. Los soldados reclutados en Valencia no pudieron embarcar en la escuadra por falta de naves, dado que se dejan varias galeras en Cartagena para hacer tareas de vigilancia por los continuos ataques de Morato Reis en la zona, en especial el desembarco de 600 turcos en Almazarrón, capturando a 40 cautivos después de quemar una torre de vigilancia. Aunque se pide, como en veces anteriores y posteriores, que se guarde silencio sobre lo que se está preparando, en Argel se conoce perfectamente los intentos de Felipe III de atacar nuevamente la ciudad corsaria. Estas noticias son el origen de la expedición de Morato Reis desde finales de 1601 y 1602, ya que prepara una escuadra de cinco galeotas gruesas, acompañadas de seis bergantines, que patrullan toda la costa Mediterránea desde el otoño, exclusivamente para "tomar lengua", a semejanza de los que se hace desde Palma, Sánlucar, Cartagena, Alicante, Málaga o Barcelona con asiduidad para conocer las acciones de los argelinos. El poder de esta escuadra despierta el miedo entre los cristianos del litoral, además de que las poblaciones moriscas facilitan noticias e informaciones a los navegantes musulmanes argelinos[22].

El mantenimiento de los preparativos genera que desde el Diván y la Taifa de los Reis se redoblen las prevenciones al año siguiente, por lo que en primavera se encaminan diferentes armadas corsarias al Mediterráneo español para controlar el movimiento de

[22]AGS, Guerra Antigua, Leg. 588, Carta de Cartagena al Consejo de Guerra, 15-12-1601.

tropas y escuadras, acciones en las que nuevamente las informaciones de los cristianos nuevos de moros facilitan las acciones preventivas de los musulmanes. Las tareas de información llevan a Morato Reis a las islas Baleares para conocer el estado de los preparativos de la armada en julio de 1602, volviendo al Magreb para transmitir a las autoridades de Argel que los españoles no lograran sus objetivos por las noticias recopiladas en su navegación[23].

La localidad de Denia será empleada por primera vez para concentrar galeras en su ampliado perímetro portuario, clara demostración de que el Valido había logrado introducirse también en el complejo y rentable mundo del aprovisionamiento y mantenimiento de las escuadras de galeras de la Monarquía[24]. Después de varias vicisitudes, 46 galeras y 7.000 hombres parten el 23 de septiembre para Palma, quejándose el embajador del Cuco que esta expedición era completamente insuficiente, tanto en hombres como en navíos, para conquistar la ciudad de Argel o la de Bugía, plazas que estaban perfectamente informadas de las pretensiones hispanas y que se habían reforzado convenientemente mientras se aprestaba la expedición. El dilatado tiempo tardado en ponerse en marcha, ya que los primeros preparativos de la expedición se realizan a finales de agosto y en los primeros días de octubre llegan a Palma de Mallorca todos los efectivos, aunque muy mermados de lo que preveía en la organización inicial, al faltar todos los galeones italianos que estaban en Cádiz descargando

[23]AGS, Guerra Antigua, Leg. 603, Carta del gobernador de la ciudad de Ibiza al Rey, 4-7-1602. Sobre las características de las andanzas de Morato Reis en 1601 y 1602, referido esencialmente a las acciones que protagoniza en Murcia y la costa andaluza hasta Almería, véase **VELASCO HERNÁNDEZ (Francisco)** : « La razzia del corsario Morato Arráez en la costa murciana en agosto de 1602 », *Revista Murgetana*, 125, 2011, pp. 83-102.

[24]**LOMAS CORTÉS (Manuel)**: « Las galeras de Denia y el duque de Lerma, un proyecto defensivo del litoral valenciano a comienzos del siglo XVII », in *Felipe II y Almazarrón: la construcción local de un imperio global*, coord. María Martínez Alcalda y José Javier Ruíz Ibáñez, Murcia, Universidad de Murcia, 2014, vol 1, pp. 249-264.

artillería, además de que muchos de los soldados reclutados son licenciados al no poderse embarcar por falta de naves.

Los errores de organización no pueden ocultar la importancia que tenía para Felipe III este nuevo intento de conquista de Argel, habiendo facilitado el dinero y las órdenes necesarias para que se pudiera organizar de la manera más rápida y discreta posible. Luis Cabrera de Córdoba, reseñando las opiniones que circulan por la Corte, informa de la importancia que tiene este segundo intento para Felipe III, ya que:

> "se tiene por cierto que si S. M. no hubiera estado malo, se hallára a esta hora en Denia para ver pasar la armada y dar a boca a don Juan de Cardona la orden que se había de tener en esta jornada, de la cual muchos sospechan que no ha de resultar ningún efecto, por estar el tiempo tan adelantado y ser tan poca la gente que se lleva para ella; aunque el Rey Cuco y el Alabés prometen de servir con 20.000 hombres. Y escriben de Mallorca que se había sabido por una saetía que había llegado allí de Argel, que habían salido 4.000 turcos contra la gente del Cuco que corría hasta las puertas de aquella ciudad, y que en Bugía había entrado guarnición de turcos para defenderla. Envía el conde de Benavente en esta armada sus tres hijos mayores"[25].

Mallorca se había preparado para la llegada de la flota, notándose enormemente la experiencia adquirida por el virrey Zanoguera del año anterior. Sin embargo, la larga estancia de las naves en la ciudad da al traste con muchas de las prevenciones realizadas por el Virrey. Cardona no se atreve a salir de la seguridad del puerto por las noticias de la proximidad de Morato Reis, lo que supone que se vayan consumiendo todas las vituallas preparadas para la empresa. De otra parte, los soldados bisoños comienzan a enfermar por pudrirse en agua que se guarda en las botas fabricadas y embarcadas en Cartagena, lo que muestra defectos en estos suministros, que retrasa aún más la salida al faltar muchos hombres en condiciones de navegar. La expedición está condenada al fracaso

[25]**CABRERA DE CÓRDOBA (Luis)** : *op. cit.*, p. 156.

al trastocarse todos los planes iniciales. En la ciudad se genera un enorme malestar por tener que alimentar a un número tan grande de soldados, lo que supone una subida generalizada de los precios de los principales bienes de consumo por las grandes peticiones de alimentos para los soldados. La falta casi absoluta de planes concretos y de órdenes específicas en relación a la partida de la armada crea un enorme malestar y acrecienta las dificultades de los expedicionarios y de los ciudadanos de Palma de Mallorca[26]. Ante la imposibilidad de poder seguir adelante con la expedición, Juan de Cardona decide liberar a las distintas flotas, partiendo él hacia Cartagena el 8 de noviembre de 1602, y se da por acabado este segundo intento de conquista de Argel.

Las consecuencias de este nuevo fracaso fueron, como es lógico, una gran pérdida de prestigio y reputación para Felipe III[27], además de económicas, dado que se había realizado un enorme gasto para preparar una poderosa flota en varios de los puertos de la Península. Más graves son para el rey de Cuco que, animado por las noticias de que la flota española estaba próxima a arribar a la costa, había iniciado unilateralmente las hostilidades contra Argel. Los suministros de dinero, pólvora y arcabuces que había trasladado Aguirre desde las Baleares habían armado al ejército de la Kabilia, lo que les posibilita iniciar las hostilidades, pero al llegar a Argel la noticia de la suspensión del intento de conquista de la ciudad corsaria posibilita que la milicia argelina se vuelque en acabar con la revuelta de los cabiles. El franciscano consiguió mantener viva la

[26]**SEGUÍ BELTRÁN (Andreu)**: art. cit., p. 305.

[27]Años después se recuerda esta expedición como la gran ocasión perdida: "Algunos años ha deste pues dize que se hallaba en Constantinopla el año que V. Md. mandó juntar en estos mares una armada a cargo de don Juan de Cardona, por cuya ocasión temiéndose el Rey de Francia de la provença y deseando divertir nuestras fuerzas escribió al Turco que bajasse en defensa de Argel que sabía tratava de emprendella V. Mgd. y que al mesmo tiempo llegaron cartas del Bajá de Argel pidiendo lo mesmo y exagerando su peligro, a todo lo qual se respondio que se defendiesen como pudiessen sin esperar socorro por que no se les podía dar en manera alguna". Cf. AGS, Estado, Leg. 234, Don Carlos Coloma a su Magestad, 30-12-1611.

alianza prometiendo más armas, pólvora, pertrechos y la entrega de 15.000 escudos de oro al mes, además de asesorar con artilleros y otros oficios a los soldados musulmanes artillados recientemente, y aún carentes de habilidad en el uso de armas de fuego, asesores que son remitidos por Zanoguera[28].

Por desgracia, el número de personas que pasan a los límites del reino del Cuco es menor del deseable, dado que resulta dificultoso encontrar persona suficientemente preparadas. Además de que cuesta reclutar voluntarios para esta peligrosa aventura. Ello genera una enorme desconfianza, mantenida viva y latente por el embajador Abdelmalec, hombre que reside durante estos años en Palma. Los últimos meses de 1602 los jenízaros argelinos realizan varios ataques sobre las tropas bereberes, apoyados por el rey de Lesbes (Labbes), con resultados dispares, aunque el del Cuco logra una aplastante victoria en diciembre, capturando cuatro piezas de artillería y ocasionando la muerte de casi un quinto del cuerpo expedicionario, que contaba con 5.000 efectivos. Sin poder verificar las noticias que se mandan, lo que está claro es que la victoria logra que todos los gobernantes bereberes y los grupos de la Kabilia se separen de los otomanos y apoyen al sublevado. El religioso refiere que Morato Reis también desaparece en estos meses de la escena militar después de esta victoria[29], lo que facilite el aumento de las personas enemigas de Argel.

Lo que resulta realmente interesante es la correspondencia que los dos gobernantes se comienzan a intercambiar en torno a estos meses, que mantendrá tono muy semejante hasta el final de la comunicación entre ellos. La victoria sobre las tropas de Solimán Bajá encienden las ansias guerreras, además de que se confirma

[28]Los sucesos del Cuco de 1603 se pueden y deben seguir cruzando las noticias que suministra el AGS. Estado Leg. 192, que son las informaciones utilizadas por el libro de Rodríguez Joulia Saint Cyr, con las cartas y memoriales de AGS, Costas de África y Levante, Estado 493, que las emplea Miguel Deyá Bauzá en el 2015 para señalar los aportes mallorquines a las empresas africanas de Felipe III.
[29]AGS, Estado, Leg. 192, Fernando Çanoguera a Su Magestad, Palma, 12-4-1603, publicada también por C. Rodríguez Joulia Saint Cyr, *op. cit.*, pp. 99-104.

desde Orán, por los avisos del conde de Alcaudete, de que la sublevación del Cuco está sembrando el miedo entre los otomanos de la regencia, además de facilitar la huida de muchos renegados y cautivos que se refugian en las montañas que controla el bereber[30]. Las noticias de la revuelta despiertan los miedos y los recelos de Enrique IV de Francia al creer que la alianza del español y el bereber desestabilizarán el equilibrio de poder en el Mediterráneo Occidental si se logra conquistar Argel[31]. Las ventajas de la alianza entre ambos lados del mar son evidentes, pero el incumplimiento de lo prometido por Felipe III desespera al del Cuco, que escribe con urgencia reclamando la armada prometida y que los pactos de 1600 se respeten:

> "… no era esto lo que yo pensaba de vosotros, ni es cosa de caballeros volver atrás lo que han dicho, y es muy mala cosa que no se cumpla, pues yo no he faltado en nada y tengo guardada la carta del Rey de España que dize que este a punto que luego vendrá la Armada y dos vezes se ha perdido por vosotros, y no por mi. Y la primera tomamos paciencia por aver gran fortuna en la mar, y esta última vez que el campo turco salió, nosotros ya avisamos al Rey Phelipe para que nos socorriera, aunque fuera poco, y no avemos visto ni poco ni mucho, y yo con mi gente les he degollado muchos y les he hecho huyr. Y venga agora toda la Armada, agora que ay pocos turcos y no son buenos para guerra, que ya les conocemos nosotros, y por poca Armada que me enbiaran me hubiera bastado. Y si no puede venir la Armada, venga persona con quien pueda hablar, que será bueno para todos, aunque no venga con más de veinte galeras…"[32]

En los primeros meses de 1603 una nueva victoria del de la Kabilia logra que se consolide sobre el territorio el sublevado. Rápidamente se envían emisarios a Mallorca para dar nuevas de la misma, aunque serán capturados. El encargado de comunicar la

[30]AGS, Estado, Leg. 192, Orán, Conde de Alcaudete, 19-6-1603.
[31]**PLANAS (Natividad)**: « Une culture en partage… », art. cit., pp. 278-280.
[32]AGS, Estado, Leg. 192, Copia de carta del rey Cuco al procurador real de Mallorca, s.f.

noticia era fray Francisco Cirano, uno de los cristianos que rodean a Aguirre. Este grupo de personas tenían como misión ayudar a los sublevados con el adiestramiento en técnicas militares o sirviendo como auxiliares en otras cuestiones asociadas con la guerra y el armamento (boticarios, cirujanos, artilleros, carpinteros, etc)[33]. La mayor parte de ellos son de origen mallorquín, aunque hay que referir a dos religiosos sardos que se muestran muy activos en estos meses, como es el caso de Francisco Cirano, y sobre los que se encuentran abundantes referencias en los archivos de Cagliari. El apresamiento de este religioso sardo se produce por la traición de las personas que le llevan a la costa para que se embarque hacia Mallorca con las nuevas del Cuco[34]. Este religioso morirá pocos meses después al ser mandado que fuera degollado vivo por orden expresa del Diván, pena que se impone que sea realizada para servir de escarmiento a todos los cautivos por ayudar al enemigo de Argel, aunque el Bajá intentó respetarle la vida para poder cobrar un elevado rescate[35].

---

[33]**DEYÁ BAUZA (Miguel)** : « La política Mediterránea de Felipe III vista desde el archipiélago balear (1601-1608) », in *Temas y formas hispánicas: arte, cultura y sociedad*, Carlos Mata Induraín y Anna Morózova (eds.), Pamplona, Griso-Universidad de Navarra, 2015, pp. 69-83. Aguirre recibe dinero de prestamistas genoveses, 8000 ducados a finales de mayo de 1603, por la intermediación de fray Gaspar Claramonte, prior del convento de San Isidoro, desde Cartagena para financiar el "socorro del Cuco". Cf. **RUIZ IBÁÑEZ (José J.)** y **MONTOJO MONTOJO (Vicente)** : *Entre el lucro y la defensa. Las relaciones entre la Monarquía y la sociedad mercantil catagenera (comerciantes y corsarios en el siglo XVII)*, Murcia, Real Academia Alfonso X el Sabio, 1998, p. 138, nota 320.

[34]"En 24 del dicho [noviembre] vino nuevas como por traycion de los moros del dicho Cuco habían cautivado al Padre sardo viniéndose a embarcar para pasar a España con cartas para su Magd. y para el duque de Lerma, y en su defensa murieron algunos…". Cf. AGS, Estado, Leg. 192, Verdadera relación de todo lo que ha sucedido en Argel desde el primero día del mes de agosto del año 1602 hasta 22 días del mes de junio deste presente año de 1603.

[35]En los tratos de la Monarquía con el Cuco la importancia de la asistencia de religiosos sardos resulta especialmente importante. El tema del cautiverio en estas épocas es una de las cuestiones que ha tenido un mayor desarrollo. Cf. **KAISER (Wolfgang)**: *Le commerce des captifs. Les intermédiaires dans l'échange et le rachat des prisonniers en Méditerranée, XV^e^-XVII^e^ siècles*, Kaiser, W. (dir), Rome, École Française de Rome, 2008; **GUILLÉN (Fabienne P.)** y **RABELSI**

En abril se manda dos embajadores musulmanes, Amar el Viejo y Abdelmalek, acompañados por el alférez Pedro Español, hacia Valencia para que entren en contacto con Felipe III y le lleven varias cartas, que se conservan en Simancas, en las que se recoge la entrevista que tienen en Aranjuez. Con estas dos personas se inicia un contacto continuo entre ambos lados del mar, siendo normal que muchos de estos personajes permanezcan durante meses en Mallorca viviendo del dinero que les da el virrey Zanoguera. Incluso, alguno de ellos informa que son nombrados por el rey del Cuca para agradecerles los servicios prestados, que serán pagados por el dinero de Felipe III

Esta embajada tiene como objetivo que se mande una flota, además de bastimentos y dinero, para poder oponerse al ejército de 10.000 hombres, 3.000 de ellos jenízaros, que ha logrado levantar Solimán Bajá. El principal éxito de esta expedición fue la conquista del fuerte de Tamagut, fortaleza que vigilaba el paso de las montañas al puerto de Safón, lugar por donde le llegaban las vituallas y los refuerzos cristianos desde Mallorca. La documentación refiere la traición del alcaide que defendía la fortaleza con 200 soldados, facilitando arteramente la entrada del cuerpo expedicionario argelino. Informa a los otomanos de la próxima llegada de cuatro fragatas de Mallorca[36] en las que asisten

---

(Salah), eds.: *Les esclavages en Méditerranée: espaces et dynamiques économiques*, Madrid, Casa de Velázquez, 2012; **MARTÍNEZ TORRES (José Antonio)**: *Prisioneros de los infieles: vida y rescate de los cautivos cristianos en el Mediterráneo musulmán (siglos XVI-XVII)*, Barcelona, Bellaterra, 2004; **HERSHENZON (Daniel)**: « Las redes de confianza y crédito en el Mediterráneo occidental: cautiverio y rescate (1580-1670) » in *Les esclavages en Mediterranée: espaces et dynamiques economiques*, Guillen y Rabelsi (eds), Madrid, Casa de Velázquez, 2014, pp. 31-140; **HERSHENZON (Daniel)**: « Plaintes et menaces: captivité et violences religieuses en Méditerranée au XVII^{e} siècle » in *Les musulmans dans l'histoire de l'Europe, Vol. II, Passages et contacts en Méditerranée*, ed. Jocelyne Dakhlia and Wolfgang Kaiser (eds), Paris, Albin Michel, 2013, pp. 441-460.

[36]"Había tomado una fortaleza que se llama Tamagote, la qual está vezina a la marina… dissese que los cogieron por traycion, que de otra suerte era imposible, y vendió la dicha fortaleza un moro que dizen que es el que haze la seña quando

el virrey Fernando de Zanoguera y el padre Mateo Aguirre, religioso que se había desplazado a las Baleares para traer pertrechos e informar de la situación de la guerra de manera directa, encargándose de traer nuevos pertrechos para acabar con cualquier tipo de reticencia entre los aliados[37]. En la extensísima correspondencia que conservamos del virrey Zanoguera con Lerma y Felipe III, además de con el conde de Benavente y los miembros de los Consejos, siempre se ofrece para ir personalmente a servir al Norte de África para combatir por el monarca y la religión, reseñando que el mismo pagaría los gastos que conllevara su misión, lo que muestra la mentalidad existente en estos primeros años entre los encargados de realizar la política en el Mediterráneo de Felipe III.

Conclusión

En estas páginas nos referimos exclusivamente a los dos primeros años de la relación entre España y el Rey de Cuco en los primeros años del siglo XVII. Como es evidente al leer estas breves notas, los intereses de los dos gobernantes involucrados en estos acuerdos son completamente diferentes. Felipe III está obsesionado con la conquista de Argel, objetivo que perseguirá a lo largo de su vida, mientras que el Rey del Cuco lo que quiere es tener un aliado estable que le suministre técnicos, pertrechos, municiones y dinero para poder mantener su revuelta, al mismo tiempo que su independencia de los gobernantes de Argel. En estos dos primeros años, esta situación se ha mantenido relativamente bien ya que ambos han cumplido con los compromisos asumidos, situación que se irá deteriorando paulatinamente. Estos dos primeros años del siglo XVII son cruciales para entender los nuevos ritmos que va adquiriendo el Mediterráneo que, lamentablemente, no han sido

viene alguna fregata de España y tiene noticia de que ha de venir en breves días fragatas de Mallorca y el moro ha de hazar la seña acostumbrada para que los turcos los cojan". Cf. AGS, Estado, Leg. 192, Verdadera relación de todo lo que ha sucedido en Argel desde el primero día del mes de agosto del año 1602 hasta 22 días del mes de junio deste presente año de 1603.

[37]AGS, Estado Leg. 208, Carta de F. Mateo de Aguirre, 28-4-1603.

adecuadamente estudiados, y estas páginas son un pequeño adelanto de trabajos futuros.

Bibliografía

-**BOYER (Pierre)** : « Espagne et Kouko. Les négociations de 1698 et 1610 », *Revue de l´Occident musulman et de la Méditerranée,* 8, 1970, 25-40.

-**BUNES IBARRA (Miguel Ángel)** : « La jornada secreta de Argel: recursos de la Monarquía de Felipe III para la organización de una operación anfibia », in *La Organización de los ejércitos,* E. Martínez Ruiz, J. Cantera Montenegro y M. De Pazzis Pi Corrales, t. 1, Madrid, Cátedra Extraordinaria complutense de Historia Militar, 2016, 594-626.

-**BUNES IBARRA (Miguel Ángel)**: *Políticas de Felipe III en el Mediterráneo, 1598-1621*, Madrid, Polifemo, 2021.

-**CABRERA DE CÓRDOBA (Luis)** : *Relaciones de las cosas sucedidas en la Corte de España desde 1599 hasta 1614*, Valladolid, Junta de Castilla y León, 1977.

-**CONESTAGGIO (Girolamo Franchi de)** : *Relación de los aparatos para ocupar Argel, enviada por Gerónimo Conestagio a Nicolao Petrochino, proveedor de la Casa de Indias,* Biblioteca Nacional de España (BNE), Mss/9855, 164v.-178r.

-**DE LA VERONNE (Chantal)** : *Oran et Tlemcen dans la première moitié du XVI^e^ siècle*, Paris, Guethner, 1983.

-**DEYÁ BAUZÁ (Miguel José)** : « La política Mediterránea de Felipe III vista desde el archipiélago balear (1601-1608) », in *Temas y formas hispánicas: arte, cultura y sociedad*, Carlos Mata Induraín y Anna Morózova (eds.), Pamplona, Griso-Universidad de Navarra, 2015, 69-83.

-**DEYÁ BAUZÁ, (Miguel José)** y **OLIVER MOTAFUES (M.)** : « El Mediterráneo bipolar: el reino de Mallorca en alarma, la Orden de Malta en guardia », in *La Orden de Malta, Mallorca y el Mediterráneo,* Palma de Mallorca, Consell Insular de Mallorca, 2000.

-**GARCÉS (María Antonia)** : *Cervantes en Argel: historia de un cautivo*, Madrid, Gredos, 2005.

-**GIL FERNÁNDEZ (Luis)**: *El Imperio luso-español y la Persia Safávida*, Madrid, FUE, 2006.

-**HAEDO (Diego de)** : *Topografía e historia general de Argel…,* Valladolid, Diego Fernández de Córdoba, 1612, ed. de Ignacio Bauer Landauer, Madrid, Sociedad de Bibliófilos Españoles, 1927-1929.

-**HERSHENZON (David)** : « Las redes de confianza y crédito en el Mediterráneo occcidental: cautiverio y rescate (1580-1670) », in *Les esclavages en Méditerranée: espaces et dynamiques économiques*, Guillén and Rabelsi (eds), Madrid, Casa de Velázquez, 2012, 31-140.

-**HERSHENZON (David)** : « Plaintes et menaces: captivité et violences religieuses en Méditerranée au XVII^{e} siècle » in *Les musulmans dans l'histoire de l'Europe, Vol. II, Passages et contacts en Méditerranée*, ed. Jocelyne Dakhlia and Wolfgang Kaiser (eds), Paris, Albin Michel, 2013, 441-460.

-**HERSHENZON (David)** : *The Captive Sea. Slavery, Communication, and Commerce in Early Modern Spain and the Mediterranean*, Philadelphia, University of Pennsylvania Press, 2018.

-**KAISER (Wolfgang)**: *Le commerce des captifs. Les intermédiaires dans l'échange et le rachat des prisonniers en Méditerranée, XV^{e}-XVII^{e} siècles*, Kaiser, W. (dir), Rome, École Française de Rome, 2008.

-**KAISER (Wolfgang)** : « Asymétries méditerranéennes. Présence et circulation de marchands entre Alger, Tunis et Marseille », in *L´Histoire des musulmans en Europe, tome 1, Une intégration invisible*, ed. de Jocelyne Dakhlia y Bernard Vincent, Paris, Albin Michel, 2011, 417-442.

-**LOMAS CORTÉS (Manuel)** : « Juan Andrea Doria y la cesión del Marquesado de Finale », in *Tierra de confluencias, Italia y la Monarquía de España: siglos XVI-XVII*, Cristiana Bravo Lozano y Roberto Quirós Rosado, coord., Valencia, Ed. Albatros, 2013, 111-128.

-**LOMAS CORTÉS (Manuel)**: « Las galeras de Denia y el duque de Lerma, un proyecto defensivo del litoral valenciano a comienzos del siglo XVII », in *Felipe II y Almazarrón: la construcción local de un imperio global*, coord. María Martínez Alcalda y José Javier Ruíz Ibáñez, Murcia, Universidad de Murcia, 2014, vol 1, 249-264.

-**MARTÍNEZ TORRES (José Antonio)** : *Prisioneros de los infieles: vida y rescate de los cautivos cristianos en el Mediterráneo musulmán (siglos XVI-XVII),* Barcelona, Bellaterra, 2004.
-**PLANAS (Natividad)**: « Une culture en partage. La communication politique entre Europe et Islam aux XVI[e] et XVII[e] siècles », in *Les musulmans dans l´histoire de l´Europe, tome 2, Passages et contacts en Méditerranée,* Jocelyne Dakhlia et Wolfgang Kaiser (dir.), Paris, Albin Michel, 2013, 276-278 y 290-297.
-**PLANAS (Natividad)** : « Diplomacy from Below or Cross-Confessional Loyalty? The "Christians of Algiers" between the Lord of Kuko and the King of Spain in the Early 1600s », *Journal of Early Modern History,* 9, 2015, 153-173.
-Reconocer al infiel. La representación en la diplomacia hispanomusulmana (siglos XVI y XVII), Francesco Capriolo y Rubén González Cuerva (eds), Madrid, Silex, 2022.
-**RECIO MORALES (Oscar)** : *El socorro de Irlanda en 1601 y la contribución del ejército a la integración social de los irlandeses en España,* Madrid, Ministerio de Defensa, 2002.
-**RODRÍGUEZ JOULIA SAINT-CYR (C.)** : *Felipe III y el Rey del Cuco,* Madrid, CSIC, 1954.
-**RODRÍGUEZ SALGADO (María José)**: *Felipe II, el "Paladín de la Cristiandad" y la paz con el turco,* Valladolid, Universidad de Valladolid, 2004.
-**RUIZ IBÁÑEZ (José Javier)** y **MONTOJO MONTOJO (Vicente)** : *Entre el lucro y la defensa. Las relaciones entre la Monarquía y la sociedad mercantil cartagenera (comerciantes y corsarios en el siglo XVII),* Murcia, Real Academia Alfonso X el Sabio, 1998.
-**SALAS ALMELA (Luis)** : *Colaboración y conflicto. La capitanía General del Mar Océano y Costas de Andalucía, 1588-1660,* Córdoba, Universidad de Córdoba, 2002.
-**SALAS ALMELA (Luis)**: *Medina Sidonia. El poder de la aristocracia, 1580-1670,* Madrid, Marcial Pons, 2008.
-**SEGUÍ BELTRÁN (Andreu)**: « El regne de Mallorca i l´aliança amb el regne de Cuco (1598-1608) », in *XXXI Jornades d´Estudis Històrics Locals. La Barbaria i les Balears, les relacions entre*

Tunis i l´arxipèlag al llarg de la història, Palma, Instutut d´Estudis Baleàrics, 2019, 299-312.

-**SOLA (Emilio)** y **DE LA PEÑA (FRANCISCO)** : *Cervantes y la Berbería (Cervantes, mundo turco Berberisco y servicio secreto en la época de Felipe II)*, Madrid, FCE, 1995.

-**VELASCO HERNÁNDEZ (Fernando)** : « La razzia del corsario Morato arráez en la costa murciana en agosto de 1602 », *Revista Murgetana*, 125, 2011, 83-102.

-**WOODHEAD (Christine)** : « Murad III and the Historians: Representations of Ottoman Imperial Authority in Late 16th-century Historiography », in Hakan T. Karateke and Maurius Reinkowki (eds.), *Legitimizing the Order: The Ottoman Rhetoric of State Power*, Leiden, Brill, 2005, 85-98.

Algerian Review Of Ottoman and Mediterranean Studies
Vol. 3 Issue 1 pp. 102-129
Issn: 2800-1184
Received: 21/11/2022 Accepted: 12/12/2022 Published: 30/06/2023

Le conflit des années 1769-1772 entre le Danemark et l'Algérie: une guerre oubliée

The 1769-1772 conflict between Denmark and Algeria: a forgotten war

Ødegaard Torbjørn♦
SINAS, Fredrikstad
e mail : kystforlaget@gmail.com

ملخص :

صراع 1769-1772 بين الدنمارك و الجزائر: حرب منسية

كانت الحملة العقابية التي أرسلتها الدنمارك إلى مدينة الجزائر عام 1770 ذروة صراع محتدم بين المملكة الاسكندنافية و المقاطعة العثمانية للمغرب العربي. كانت العلاقات بين الدولتين متوترة في الماضي. في عام 1746، أنهت المعاهدة المؤقتة حداً لاستحواذ القراصنة الجزائريين على السفن الدنماركية و أطقمها. هذه المعاهدة، التي ضمنت سلامة التجارة البحرية الدنماركية في البحر الأبيض المتوسط مقابل دفع الجزية للجزائر، سقطت بعد فترة وجيزة من وصول الداي محمد بن عثمان إلى الحكم عام 1766. و كان الداي الجديد ينفد صبره مع وصول الجزية الدنماركية، و كان التقارب الدنماركي الروسي مصدر إزعاج إضافي. استجابت الدنمارك بشكل أخرق و غير دبلوماسي لمطالب الداي، و في عام 1769 أعلن الحرب عليهم. استؤنف الاستيلاء على السفن و الطواقم الدنماركية. جزئيًا، من خلال شهادات بحار نرويجي أصبح عبدًا وقسيسًا بحريًا دنماركيًا، يمكننا أن نفهم مدى الفشل الذريع للحملة العسكرية المنظمة للانتقام من مدينة الجزائر، فضلاً عن عواقبها، و التي كانت ثقيلة على المستوى الاقتصادي و البشري، لكنها محدودة على المستوى السياسي.

الكلمات المفتاحية :

الدنمارك؛ النرويج؛ محمد بن عثمان؛ الحرب الدنماركية الجزائرية 1769-1772؛ معاهدة سلام.

♦ **Corresponding Author**

Abstract :

The punitive expedition that Denmark sent to Algiers in 1770 was the climax of a simmering conflict between the Scandinavian kingdom and the Ottoman province of the Maghrib. Relations between the two States had been stormy in the past. In 1746, a timely treaty put an end to the capture of Danish ships by Algerian privateers and the enslavement of their crews. This treaty, which guaranteed the safety of Danish maritime trade in the Mediterranean in return for the payment of tribute to Algiers, lapsed shortly after the dey Muhammad b. ‘Uthmân came to power in 1766. The new dey was impatient with the arrival of the Danish tribute. The Danish-Russian rapprochement was an additional source of annoyance. Denmark responded clumsily and undiplomatically to the dey's demands, and in 1769 he declared war. The capture of Danish ships and crews resumed. It is partly through the testimonies of a Norwegian sailor who became a slave and a Danish naval chaplain that we can understand the extent of the fiasco that was the military expedition organised to retaliate against Algiers, as well as its consequences, which were heavy on the economic and human level, but limited on the political level.

Keywords:

Denmark; Norway; Muhammad b. ‘Uthmân; Danish-Algerian War of 1769-1772; Peace treaty.

Introduction:

Trois jours de bombardements en juillet 1770 ne mirent pas la ville d’Alger à genoux, loin s’en faut. Les assaillants -presque trois mille soldats et de nombreux navires de guerre-, venaient des lointaines contrées du nord de l’Europe. La puissante flotte danoise allait pourtant rentrer bredouille, à cause du vent, tout simplement, du moins en bonne partie. Une brise de mer empêcha les navires de décharger des bordées efficaces et faillit, comme c’était arrivé à Charles Quint dans la même baie en 1541, jeter ces mêmes navires sur la côte dans la phase finale de la bataille. La paix fut plus tard

rétablie et, comme s'il ne s'était jamais rien passé, la diplomatie ainsi que la navigation purent reprendre leur cours habituel.

Voici le court récit du conflit entre la monarchie dano-norvégienne -la Norvège ayant été province danoise entre 1536 et 1814- et l'Etat barbaresque d'Alger[1] qui, à l'époque, constituait le bastion occidental de l'Empire ottoman[2]. Un état de guerre régna en effet de 1769 à 1772 entre la nation chrétienne et l'autonome province ottomane. C'est aussi un récit modeste des relations entre ces deux Etats au milieu du XVIII[e] siècle, quand Alger, de pirate aux yeux des Danois, se transforma en partenaire pacifique grâce au traité de paix de 1746, puis en ennemi à la rupture de celui-ci en 1769 et, enfin, en ami avec la signature d'un nouveau traité en 1772. Une amitié fragile, mais une amitié tout de même, qui survivra jusqu'à la fin de la période ottomane et à l'invasion française de l'Algérie en 1830. Mais c'est surtout l'histoire de Niels Moss, marin natif de la ville norvégienne de Trondheim, qui se trouvait à Alger en tant qu'esclave lorsque les bâtiments de guerre danois bombardaient la ville depuis la rade. La paix revenue, Niels recouvra sa liberté. Le récit de ses aventures contient la seule description de la société d'Alger jamais faite par un Norvégien : *Rapport historique complet, sur les destinées de l'équipage et des passagers du vaisseau Jomfrue Christina de Trondheim*.

1. En paix avec Alger depuis 1746

Alger était considérée par le Danemark comme un nid de pirates, à partir de la fin du XVI[e] siècle, autrement dit, lorsque démarra le commerce danois avec les régions méditerranéennes et ce, jusqu'à la signature d'un traité de paix entre les deux pays, le 22 rajab 1159 (10 août 1746)[3].

---

[1]Les Etats du Maghreb de l'époque moderne étaient connus au Danemark et en Norvège sous le nom de « Barbareskerne » ou « Røverstatene », « les Etats voleurs ». Le verbe « røve » signifiant à la fois dérober, piller et enlever par la force.

[2]Les Etats barbaresques d'Alger, Tunis et Tripoli étaient sous obédience nominale de l'Empire ottoman. Le sultanat du Maroc échappait à cette obédience. Voir le premier ouvrage conséquent sur les relations entre le Danemark et l'Afrique du Nord avant 1830 : **WANDEL (Carl Frederik)** : *Danmark og Barbareskerne 1746-1845*, Kobenhavn, 1919.

[3]« Traité de paix entre le roi du Danemark et de la Norvège et le dey de la

Le XVII^e^ siècle fut une longue période de souffrances pour les marins dano-norvégiens naviguant en Méditerranée. Les corsaires maghrébins menaient des campagnes agressives du ponant au levant ; les navires étaient attaqués, leurs équipages faits prisonniers et vendus sur les marchés aux esclaves du Maghreb[4].

Les marins finirent par mettre en place leur propre système pour racheter la liberté de leurs camarades réduits en « esclavage turc » ou en « turquerie », selon l'expression contemporaine évoquant la captivité des esclaves européens[5]. Il existait aussi, au pays, des initiatives privées pour faire libérer proches et amis de leur condition d'esclave au Maghreb. Mais les suppliques envoyées au Roi, sollicitant l'autorisation d'organiser des collectes à la sortie des églises, étaient accueillies par des refus justifiés par la crainte de voir s'émousser la générosité de la population pour d'autres bonnes œuvres[6]. Une « caisse des esclaves », *slavekassen*, fut cependant établie à Copenhague, en 1715. Cette caisse d'assurance financée par une taxe prise sur la solde des équipages dano-norvégiens supervisait le rachat des esclaves durant les trois ou quatre décennies précédant la signature des traités de paix entre le Danemark et les Etats du Maghreb. A partir de 1715, les marins capturés ne restaient donc en esclavage qu'une courte période correspondant au temps nécessaire pour envoyer la rançon, sauf exceptions[7].

République d'Alger ; signé en l'an 1159 le 22^e^ jour du mois Rajab, correspondant au 10 août de l'année 1746 après Jésus-Christ. » Sur les relations dano-algériennes, voir **ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Les correspondances de Ludolf Hammeken, le premier consul danois à Alger 1746-1751*, Alger, Edition ENAG, 2016 ; *« Une paix et Amitié perpétuelles… » : sur le traité de paix entre le royaume du Danemark-Norvège et la Régence d'Alger*, 1746, Fredrikstad, SINAS, 2013 et Alger, Editions du CNRPAH, 2017.

[4]**ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Tyrkerranet. Om de nordiske slavene i Algier og Marokko inntil 1650*, Fredrikstad, Kystforlaget, 2021 ; *De Fangene i Tyrkiet vedkommende. Kilder til løskjøp av norske, danske og islandske slaver fra Algier 1635-1636. En kommentert kildepublikasjon*, Fredrikstad, Kystforlaget, 2021 ; deux volumes d'une pentalogie sur les esclaves scandinaves au Maghreb.

[5]**BREKKHUS (A. Ragnvald)** : « Omkring ransonpengene », *Foreningen Bergen Sjøfartsmuseums skriftserie*, Bergen 1932.

[6]Archives Nationales de Norvège, Oslo : Avskriftsamlingen. Danske kanselli. L0068 – Supplikker 1699-1700.

[7]**MØLLER (Anders Monrad)** : « Oprettelsen af Slavekommissionen ». *Handels- og Søfartsmuseets Årbog*, bind 57, Kronborg (Helsingør), 1998, p. 100-

Le traité de 1746 avait une importance stratégique pour les deux parties. Les navires marchands dano-norvégiens transportant, pour la plupart, de la morue séchée et des planches vers la Méditerranée et en revenant chargés de sel, pouvaient désormais rencontrer des bâtiments corsaires algériens sans danger -à la condition que le dey d'Alger reçoive de manière régulière des tributs de la part des autorités de Copenhague. A l'occasion de la signature du traité, un présent d'une valeur de 58.000 rixdales fut offert au dey en plus d'un tribut d'une valeur de 28.000 rixdales. Les tributs annuels pouvaient aussi être payés en nature avec des canons, de la poudre noire ou des matériaux de construction navale. Avec ce traité cessaient donc les captures de navires dano-norvégiens et leur envoi vers Alger, ainsi que l'humiliante condition que des milliers de marins avaient dû endurer pendant cent cinquante ans.

L'histoire de ce traité ne peut être dissociée de celle d'une horloge en or sertie de 38 diamants qui, quelques jours avant Noël 1748, a bien failli finir au fond de l'océan, dans la région de Trondheim, non loin de l'île de Valsøya. Le 23 décembre, le prévôt Johan Ruberg qui était domicilié à Eide sur les rives du Størnfjorden, envoya un rapport à son supérieur, le bailli Rentzow, à Trondheim. Il avait le même jour reçu de l'un de ses employés, vivant sur une île des environs, une lettre datée de l'avant-veille[8]. L'homme avait rapporté qu'il s'était, la nuit précédente, « échoué près de Valsøya un navire royal danois de Copenhague qui était parti de cette même ville et faisait route pour Alger, le Pays de la Sécheresse, avec un chargement coûteux »[9].

115.

[8]L'équivalent du bailli était le *stiftamtmann*, administrateur au niveau régional, aux prérogatives diverses, judiciaires et fiscales, surtout. L'équivalent du prévôt était le *fogd*, aux mêmes prérogatives, mais sur une juridiction moindre. Les deux postes s'obtenaient par nomination royale. Rantzow avait depuis Trondheim juridiction sur les comtés actuels de Trøndelag, Nordmøre et Romsdal, une région de plus de 70.000 kilomètres carrés de superficie. Ruberg avait, quant à lui, juridiction sur la presqu'île de Fosen.

[9]Archives d'Etat régionales de Trondheim (SAT). Trondheim stift og amts- arkiv, Fd5, fogdebrev Fosen 1743-1750. Le prévôt Ruberg au bailli Rantzow, avec d'autres documents, dont un rapport de mer daté du 27 août 1749. Enregistré et transcrit par Hans Petter Madsen (HPM Vrakarkiv, ST 027).

Parmi les objets les plus précieux à bord s'en trouvait un qui devait assurer la paix entre le Danemark et l'Etat algérien, « une horloge à répétition dorée avec diamants »[10]. En cette veille de Noël, la possibilité de sauver la précieuse cargaison restait incertaine. Le navire coulait et l'horloge demeurait à bord dans un coffre, avec d'autres présents destinés au dey d'Alger.

Le naufrage qui, par ailleurs, avait coûté la vie à trois hommes, fut le point d'orgue d'une série d'événements malheureux. Ce navire de commerce, le *Fredensborg*, armé par Andreas Biørn à Copenhague, avait appareillé de cette même ville le 9 novembre. Affrété par le ministre des affaires commerciales, équipé de 6 canons et monté par 26 hommes d'équipage, sa mission était d'apporter au dey d'Alger le tribut annuel du roi Frederick V, selon les termes du contrat de 1746 : cinq cents tonneaux de poudre à canon, huit cents boulets, quatre mortiers en métal, du bois de construction -troncs et planches- et du goudron[11]. En gros, de quoi permettre à Alger de continuer à piller les navires des nations chrétiennes avec lesquelles il n'existait pas d'accord de paix, comme l'Espagne ou les villes hanséatiques de Hambourg et de Lübeck. Il y avait, en outre le coffre contenant des présents, dont la fameuse horloge en or.

Le navire n'arriva jamais à Alger, il s'échoua au « sud-ouest de Valsøya, près d'une île appelée Torra, 70 kilomètres au nord de Trondheim ». Mais les choses auraient encore pu empirer pour le *Fredensborg* et son équipage. L'interrogatoire enregistré à Vallersund sur Valsøya, le 20 mars 1749, mit au jour que le *Fredensborg* avait bien failli couler corps et biens en pleine mer. Pendant cinq semaines et un jour, l'équipage ne put réaliser la moindre observation, « ni du soleil, ni des étoiles, qui pouvait être fiable. Le pire, c'était la tempête qui faisait rage chaque jour, avec neige et brouillard ». L'équipage eut en vue Valsøya sur les cinq heures du matin le 21 décembre, et le navire s'échoua environ une demi-heure plus tard.

Le naufrage du Fredensborg, pris isolément, ne peut pas être considéré comme un événement marquant de l'histoire maritime

[10]Une répétition est un mécanisme horloger complexe qui permet de faire sonner l'heure à la demande.

[11]Il s'agissait de mortiers pour préparer la poudre et non de mortiers d'artillerie.

norvégienne. Le gros de la cargaison ainsi que les canons furent récupérés, et presque tout l'équipage survécut, hormis le lieutenant Axel Ahrenfeldt, le constable Peder Jenssen et le matelot Friderich Lorentzen qui « perdirent la vie sur les rochers sur lesquels le navire échoua ». Les documents contemporains décrivant le naufrage, produits par le capitaine Simon Hooglant (1712-1789), le prévôt Ruberg et le bailli Rantzow, ont été archivés puis oubliés – jusqu'à aujourd'hui. Le naufrage, les raisons du voyage, la destination finale ainsi que le traité avec Alger, les présents annuels et les efforts pour entretenir une amitié durable avec un « Etat pirate », inscrivent l'événement dans une perspective plus large.

Le dey d'Alger se trouvait donc sans son horloge et sans les habits d'écarlate qu'on lui avait aussi promis. Ses plaintes auprès du consul danois Hammeken concernant l'absence de présents, étaient au printemps 1749 devenues lancinantes. Cependant, le capitaine Hooglant débarqua à Alger en novembre avec deux ans de présents chargés à bord du même navire. Le dey put enfin recevoir ses cadeaux, dont la fameuse horloge en or, finalement repêchée près de Valsøya. C'est en suivant l'horloge en question que l'on peut suivre l'évolution des relations entre les deux pays. Le sauvetage n'eut lieu qu'en février 1749. Le 22 du même mois, le capitaine Hooglant rapporta au bailli Rantzow avoir demandé au conseiller de l'hôtel de ville de Trondheim, Hornemann, de trouver dans la ville un horloger assez doué pour réparer une horloge « sertie de 38 diamants ». Celle-ci arriva à Alger plus tard la même année et permit donc au Danemark et à Alger de conserver leur amitié pour de nombreuses années[12].

2. La rupture de la paix en 1769

La navigation dano-norvégienne en Méditerranée connut une forte expansion durant la deuxième moitié du XVIII^{e} siècle, une époque florissante pour le commerce du royaume, résultat heureux d'une augmentation générale du niveau de vie en Europe et d'une politique de neutralité réfléchie, le Danemark laissant les grandes puissances maritimes se faire la guerre tout en profitant -et en abusant- des règles du commerce neutre. Toutefois, cette embellie

[12]**ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Oppgjøret med røverstaten Algier, 1769–72*, Horten (édité par le Musée de la Marine), 2010, p. 6-7.

prit fin pour le Danemark. La valeur des cadeaux et tributs annuels destinés au dey d'Alger était calculée selon les termes du traité de 1746, une époque moins idyllique pour le commerce danois. C'est peut-être la raison pour laquelle le nouveau dey, Muhammad b. 'Uthmân qui régna de 1766 à 1791, devint, à la fin des années 1760 de plus en plus agressif et exigeant à l'encontre du consul danois. Andreas Æreboe, consul de 1763 à 1769, décrivait le dey comme un chérif barbaresque exigeant et farouche. On rendrait cependant justice à celui-ci en le considérant comme un représentant du système corsaire nord-africain dans sa forme la plus conventionnelle, et pas forcément la plus inhumaine. Les traités n'étant plus adaptés à la conjoncture, les Algériens recommencèrent leurs captures dans le but de faire augmenter les tributs annuels, qui étaient en réalité des pots-de-vin garantissant que les navires marchands européens ne se feraient pas capturer.

Quoi qu'il en soit, la déclaration de guerre du dey contre le Danemark en 1769 mit fin à une longue période de paix. Æreboe quitta immédiatement le pays et s'installa à Toulon, d'où il mit en garde tous les navires dano-norvégiens contre le danger d'être capturés par les corsaires algériens[13].

Il faut cependant préciser, afin de rendre justice à Alger que, durant la longue période de paix de 1746 à 1769, les Algériens avaient respecté le traité de paix, même s'ils étaient certainement tentés de capturer à la fois les navires et équipages et de réduire ces derniers en esclavage. Ainsi, un corsaire algérien fit preuve de tempérance en 1761 lorsqu'il intercepta un navire danois venant du Portugal et faisant route vers Civitavecchia, avec à son bord cent cinquante jésuites, et on aurait pu croire que les Algériens les réduiraient en esclavage ; mais il n'en fut rien. Le navire put poursuivre son voyage vers l'Italie. Le principe de cargaison libre sur les navires amis -« le pavillon couvre la marchandise »- était aussi respecté, au risque de laisser filer des marchandises de contrebande destinées à leurs ennemis[14].

---

[13]**ANDERSEN (DAN H.)** : *The Danish Flag in the Mediterranean. Shipping and Trade, 1747–1807*, Vol 2 (Shipping 1773-1807), Copenhagen, Ph. D. Thesis of the University of Copenhagen, 2000, p. 184-185.
[14]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 184-186.

Tout commença donc lorsque le nouveau dey, Muhammad b. 'Uthmân, exigea du Danemark des présents supplémentaires et ce, peu après son arrivée au pouvoir en 1766[15]. Copenhague vit cela comme une violation du traité de 1746. Comme l'indique l'historien danois Dan H. Andersen, un changement de gouvernement à Alger au XVIII[e] siècle était toujours un événement déstabilisant pour les consuls européens qui devaient apprendre à connaître le nouveau souverain, son tempérament et sa personnalité[16]. Ils devaient lui offrir des cadeaux, ainsi qu'à son entourage gouvernemental. Muhammad b. 'Uthmân saisissait toutes les occasions pour renflouer les caisses d'Alger.

Æreboe reçut de Copenhague l'ordre d'annoncer au dey que, très rapidement, arriverait un cadeau supplémentaire -des pierres précieuses d'une grande valeur- pour célébrer son accession au pouvoir. Mais cela n'était pas suffisant pour Baba Muhammad. Æreboe rapporta à Copenhague, en novembre 1768, que le dey avait de nouveau exigé un cadeau supplémentaire d'une valeur de 3.600 rixdales, à commander à Marseille sous trois mois. Enfin, Baba Muhammad exigeait qu'on lui envoie des cadeaux une année sur deux, une demande fondée sur le fait suivant : l'usage voulait, lorsqu'un nouveau consul prenait son poste à Alger, que celui-ci offre des cadeaux au dey. Le dey perdait au change, si un consul restait en poste plus de deux ans. Voilà pourquoi il exigeait que l'on paye, même si on ne changeait pas de consul ![17]

Æreboe rapporta au ministre des Affaires étrangères danois, le comte Johan Hartvig Ernst Bernstorff (1712-1772), que le gouvernement algérien le harcelait de plus en plus à propos des cadeaux, ne remplissant pas selon le consul, les conditions du traité ; qu'il avait affaire à un peuple allant à l'encontre de tout bon sens et qu'après avoir tenté de mettre les choses au clair auprès du dey, celui-ci lui avait répondu qu'il se sentait tracassé par la marine et qu'il se devait donc de tracasser Æreboe en retour[18].

On commanda le fameux cadeau à Marseille, mais quand Æreboe voulut en informer le dey le 14 septembre 1769, ce dernier

[15] *Ibid.*
[16] *Ibid.*
[17] *Ibid.*
[18] *Ibid.*

avait perdu patience. Il refusa même une audience au consul qui, aux portes du palais, reçut de sentinelles peu loquaces un message l'informant qu'Alger déclarait la guerre au Danemark, qu'il avait trois jours pour quitter la ville et, qu'après un sursis de quarante jours, les corsaires algériens commenceraient à capturer les navires de commerce dano-norvégiens. Æreboe embarqua quelques jours plus tard sur un bâtiment anglais, après un trajet à pied éprouvant car pour aller au port depuis chez lui, il dut passer près d'une caserne. Or, dans ce genre de situations tendues, il n'était pas exceptionnel de se faire tirer dessus[19].

Æreboe connaissait certainement les causes de la déclaration de guerre. Tout d'abord, il y avait les demandes incessantes de présents, demandes non satisfaites. Ensuite, il y avait les accusations dont il était au courant, et qui n'étaient d'ailleurs pas totalement sans fondement : le Danemark aurait vendu des passeports danois à des navires de Hambourg, une ville hanséatique qui n'avait toujours pas signé de traité avec Alger. Les commerçants hambourgeois éludaient le problème en faisant transporter leurs cargaisons par des bâtiments de la ville voisine, Altona qui, à l'époque, faisait partie des territoires germaniques du royaume dano-norvégien, (le royaume dano-norvégien s'étendait de l'Elbe au Sud jusqu'à la frontière russe au Nord). Enfin, l'alliance existant entre le Danemark et la Russie était très malencontreuse pour le dey, puisqu'une guerre opposait l'Empire ottoman à ce pays depuis 1768[20].

Mais qui était responsable de la rupture de la paix ? Le royaume danois avait-il trop abusé du traité de paix ? Ou était-ce le dey qui interprétait celui-ci trop strictement, dans le but de négocier un accord plus lucratif ?

Il est difficile de dire avec certitude si le dey agit réellement par réaction contre l'alliance entre le Danemark et la Russie dans la guerre contre la Turquie (1768-1774). Bien qu'il ne fut formalisé qu'en décembre 1769 -donc après la déclaration de guerre- le rapprochement du Danemark et de la Russie n'avait rien d'une surprise. Il est aussi tentant d'interpréter la déclaration de guerre algérienne comme un moyen de détourner l'attention des alliés de la

[19] *Ibid.*
[20] *Ibid.*

Russie loin de la Turquie. D'un autre côté, le sultan ottoman avait ordonné au dey d'Alger de restaurer la paix, après avoir été sollicité par l'envoyé danois en poste à Constantinople. L'ordre en question fut ignoré par Baba Muhammad, ce qui montre qu'Alger était dans les faits une province autonome au sein de l'Empire ottoman. Un éventuel lien entre l'alliance dano-russe et la guerre dano-algérienne se révèle être pure spéculation.

3. Les réactions à Copenhague

Comment le roi et son conseil ont-ils réagi à Copenhague à la déclaration de guerre du dey ? C'est d'abord le climat belliqueux et l'absence de réserves face à la perspective de la guerre qui frappent du côté danois, compte tenu des efforts déjà faits pour rétablir la paix par la négociation avec Alger, les présents et une tentative de négociation via le sultan. Peu de représentants de l'État danois ont remis en question le projet d'envoyer une grande flotte dans une expédition risquée en Afrique du Nord.

Quels arguments ont justifié de répondre à la force par la force et qui décida de soumettre le dey à coups de canons ? Agé de vingt ans et au pouvoir depuis 1766, le roi Christian VII (1749-1808) était frappé d'une maladie mentale et même s'il était le monarque absolu, il n'eut aucun rôle à jouer dans cette histoire. Le royaume était géré par ses ministres et chefs de collège, dont Bernstorff qui, depuis ses débuts aux affaires étrangères en 1751, avait développé une sorte d'insolence du moins dans les affaires concernant un Etat barbaresque qui, en apparence, était insignifiant. Et il n'est pas certain que Bernstroff ait eu connaissance des nombreux messages inquiets envoyés depuis Alger par le consul, dans les années 1760. A cette époque-là, en effet, ce genre de rapports étaient envoyés au ministre des Affaires commerciales et non à la « Chancellerie allemande » qui faisait office de ministère des Affaires étrangères[21].

Il est probable que Bernstorff sous-estimait tout simplement Alger à plusieurs niveaux et qu'il n'ait pas accordé d'attention aux

[21]Un ministère consacré uniquement aux affaires étrangères fut formé en 1770. Voir aux *Archives Nationales Danoises* : jusqu'en 1770, la *Chancellerie Allemande*, après 1770, le *Ministère des Affaires Étrangères.* Certaines de ces sources sont en ligne : www.sa.dk.

signaux d'alarme qui menèrent à la déclaration de guerre de la part du dey. Alors que la nouvelle arriva à Copenhague le 23 septembre 1769, il fallut attendre le 6 novembre pour le voir suggérer l'envoi d'une expédition punitive vers Alger après avoir consulté de manière superficielle, vraisemblablement, le ministre de la Marine et sans avoir vraiment conféré avec les hauts gradés de l'Amirauté[22]. En ce qui concerne les affaires militaires, il apparait évident que Bernstorff n'avait pas les connaissances requises. Par conséquent, les décisions capitales qu'il a prises ont pu apparaître par la suite comme absolument dénuées de justifications.

Entre-temps, le dey d'Alger avait été occupé à mettre ses menaces à exécution. Conformément à la déclaration de guerre de septembre, les captures reprirent au mois d'octobre, en particulier à l'ouest de Gibraltar où des corsaires algériens chassaient les bâtiments danois. Les Algériens pratiquaient donc la guerre de course, aussi bien dans l'Atlantique qu'en Méditerranée, contrairement aux Danois qui, en réponse, pratiqueront la guerre conventionnelle, en venant bombarder Alger. Trois navires marchands furent successivement capturés par des corsaires algériens : *Princessen*, d'Altona, *Rigernes Ønske*, de Copenhague et *Jomfrue Christina*, de Trondheim. Les captures eurent lieu les 4, 9 et 13 octobre, respectivement[23]. *Rigernes Ønske* n'était pas assuré contre la « tracasserie turque », l'armateur ignorant la rupture de la paix jusqu'au départ du navire de Cagliari.

[22]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*

[23]La gazette hebdomadaire de Trondheim *Trondhiems Adresse-Contoirs Efterretninger* du 29 décembre 1769 annonça que « Hans Thode Gram, capitaine du vaisseau Jomfrue Christina, parti de Trondheim à destination de Lisbonne transportant du bois et du goudron, fut capturé par un chébec algérien le 13 octobre, à environ 22 milles marins de Lisbonne. Il fut capturé avec son équipage qui comptait 9 personnes en plus d'un jeune commerçant, M. Jacob Herman Collin. Ils furent conduits à Alger avec le vaisseau et sa cargaison. » Voir aussi : **ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*; **ØDEGAARD (Torbjørn)** : *Oppgjøret…*, *op. cit.*, p. 8.

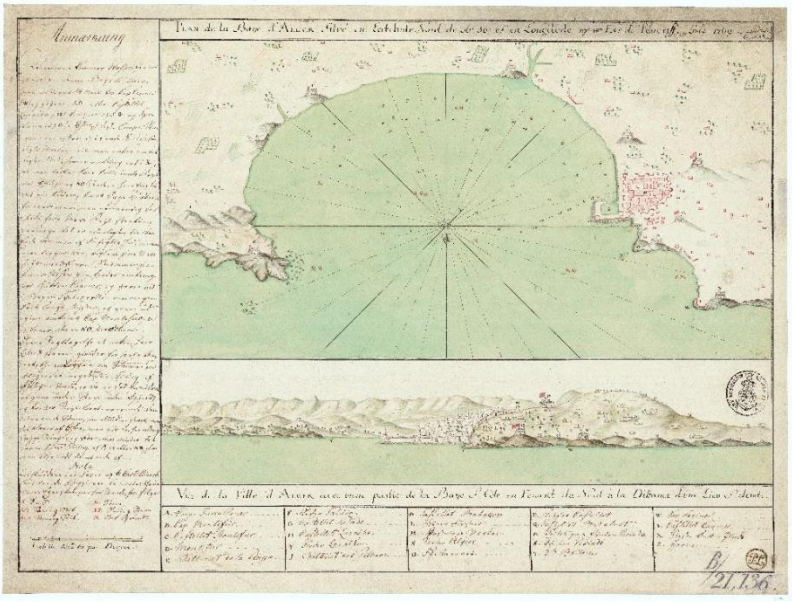

***Plan de la Baye d'Alger*, 1769, Geodatastyrelsen, Aalborg, Denmark**

Plan d'Alger et de ses fortifications, 1770, Archives Nationales du Danemark, Copenhague

4. Les actions de guerre du 4 au 15 juillet 1770

L'escadre qui fut envoyée de Copenhague pour imposer la paix à Alger à coups de canons était conséquente, d'après les standards de l'époque. Elle comptait quatre des plus gros vaisseaux de la flotte dano-norvégienne, les navires de ligne *Prinds Friederich*, *Prindsesse Sophia Magdalena*, *Slesvig* et *Mars*, portant chacun de 50 à 70 canons. Il y avait, en outre, les frégates *Christiansøe* et *Havfruen*, portant 32 pièces chacune, ainsi que les bombardes (ou galiotes à bombes) *Staabrav* et *Pak An*, le navire-hôpital *De fire Søstre*, de transport *Laurvig* ; enfin, le brick *Postiljonen*. Pour constituer les équipages, on avait fait appel à des conscrits venus de tout le royaume, de la Norvège au nord jusqu'au Schleswig au sud, 2.451 personnes en tout. Avec un effectif de 516 soldats cela fait en tout près de trois mille Danois et Norvégiens faisant route pour Alger sous le commandement du schoutbynacht Christian Frederik Kass (1725-1803), qui avait fait de *Prinds Friederich* son navire amiral[24].

Les préparatifs de l'expédition se firent avec peine, au cours de l'hiver 1769-1770. Les deux frégates, supposées partir quelques mois avant le gros de l'expédition pour protéger les navires marchands dano-norvégiens en Méditerranée, partirent finalement avec le reste de l'escadre comme suite à diverses complications. L'armement des bombardes était, au mieux, un projet expérimental et aux résultats très incertains : la marine danoise ne possédant ni ce genre de bâtiment, ni d'artilleurs expérimentés dans le maniement de mortiers d'artillerie ; deux navires civils furent transformés pour l'occasion et des artilleurs formés à la va-vite, sans embarcations adaptées[25].

L'expédition présentait des signes de faiblesse considérable avant même d'avoir mis les voiles. Le ministère des Affaires étrangères avait, par ailleurs, ignoré l'un des principes fondamentaux de la guerre navale : villes et forteresses ne pouvaient pas être prises par la mer, leur artillerie étant le plus souvent, bien supérieure à celle d'une escadre. Bombarder une ville comme Alger de manière efficace nécessitait, en outre, de pouvoir tirer en cloche.

[24] *Archives Nationales Danoises* : Søetaten: Reviderede Regnskaber, Sømilitære Regnskaber 1770-1774, Flagets Regnskab (Middelhavsekspeditionen), pk. 1-6.
[25] **ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 187.

La technologie de l'époque ne pouvant pas résoudre les problèmes liés au recul de l'arme, même les bombardes classiques ne pouvaient tirer qu'un nombre limité de projectiles avant d'être remorquées et éloignées pour être réparées. Prendre une ville comme Alger était impossible sans une force à la fois marine et terrestre, or le contingent d'infanterie de marine de l'escadre était loin d'être suffisant. En réalité, jamais ces navires n'auraient pu constituer une menace réelle pour Alger, leur puissance de feu ne permettant guère plus que d'envoyer une semonce à Baba Muhammad.

Mais cela, tout le monde l'ignorait. L'expédition appareilla à Copenhague le 2 mai 1770. Elle passa près de Lindesnes au sud de la Norvège quatre jours plus tard et avant même d'arriver à Gibraltar, le 6 juin, elle avait croisé la route d'un adversaire redoutable : ce ne sont ni les corsaires algériens, ni les canons barbaresques, mais une épidémie de typhus qui éclata sur le navire de ligne *Mars* et sur les deux frégates. Nombreux sont ceux qui furent, en outre, touchés par une sorte de gangrène due au froid, voire à du pain infecté. Il est possible que le typhus se soit propagé d'équipage en équipage depuis une flotte russe en mer Baltique ou que les provisions d'eau embarquées à Copenhague, source notoire de maladies, fussent contaminées. Très vite, c'est toute la flotte qui est atteinte. Une des premières victimes de la maladie fut l'aumônier de marine du navire-hôpital, où les malades étaient envoyés. Il reçut, comme c'était l'usage, une sépulture marine, mais le cercueil n'ayant pas été suffisamment lesté, il resta à la surface et fut observé le lendemain, voguant et allant presque au-devant des navires de la flotte. Les gens de mer ayant toujours été superstitieux, certains marins ont dû voir en cet incident un mauvais augure pour la suite de la croisière, alors qu'ils n'étaient qu'aux portes de la Méditerranée. Avec plus de vingt morts et cent hommes à l'hôpital, la puanteur due à la maladie et à la mort régnait sur l'escadre lorsque celle-ci appareilla à Gibraltar[26]. A bord du *Prindsesse Sophia Magdalena*, l'aumônier de marine norvégien Hugo Friderich Hiortøy écrivit dans son journal que, lors du remorquage du vaisseau-hôpital le 21 juin, « par vent arrière il se

[26]**EHLERS (Eduard Lauritz)** : « Danmarks Flaadetogt 1770-71 mod Sørøverstaten Algier. » *Tidsskrift for Søvæsen*, København, 1911, p. 551-555.

faisait sentir dans la galerie sur notre navire une puanteur fécale pourrie, provenant du navire-hôpital, qui était si rempli de malades qu'il n'y avait plus de place et que chaque navire devait garder ses propres malades »[27].

Hiorthoy dit la messe et donna la communion aux marins le 24 juin, avant que la flotte ne reprenne sa route vers l'Est. Elle arriva à Alger le 2 juillet et c'est avec déception que le schoutbynacht Kaas constata que les fortifications de la ville étaient bien plus développées que ce qu'il avait pu imaginer. La flotte dano-norvégienne avait assez de canons et de poudre pour faire les présentations, mais Kaas ne souhaitait pas en arriver là et espérait impressionner le dey et le pousser à revenir sur ses intentions guerrières et à conclure la paix avec le Danemark.

Le 3 juillet, à dix heures du matin, vint de la ville une chaloupe portant drapeau blanc, avec à bord quelques-uns des conseillers du dey, le consul français faisant office d'interprète. Kaas les interrogea sur les causes de la rupture de la paix survenue un an auparavant. On lui répondit que le dey soupçonnait le Danemark de permettre aux navires marchands de Hambourg de naviguer sous pavillon danois, que la poudre noire et les présents reçus à Alger étaient de bien trop mauvaise qualité. Enfin, le dey prenait comme une insulte personnelle le fait qu'on ait envoyé une flotte de guerre à Alger pour le forcer à faire la paix. Comme aucune des parties ne semblait vouloir céder la situation s'aggrava. Kaas fut, plus tard, critiqué pour sa posture rigide et peu diplomatique face aux Algériens[28]. En effet, sa rhétorique agressive et l'ultimatum de vingt-quatre heures adressé au dey ne donnèrent aucun résultat : il aurait dû comprendre que l'usage de la force ne serait pas utile.

Ainsi, l'escalade ne fut pas évitée. Les hostilités commencèrent avec l'envoi par Alger d'une flottille de galères et de chébecs qui retourna au port et lorsque les navires danois furent toués et tournés face aux batteries ennemies. Kaas donna l'ordre de

[27]Deichmanske Bibliotek, Oslo, Manuskriptsamlingen, nr. 95, *Journal holden paa Hs. Kongl. Majestæts Orlog Skib Sophia Magdalena, over Expeditionen til Algier, begyndt den 4 april 1770 og endt den 23 May 1771, Holden av Hugo Friderich Hiorthoy, Pastor Navis.*

[28]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 188.

formation de combat, mais un vent du sud se levant au même moment, l'escadre ne put avancer suffisamment pour bombarder la ville[29].

Qu'en était-il du moral des troupes à bord des navires dano-norvégiens ? Sur *Prindsesse Sophia Magdalene*, l'aumônier Hiorthøy fait le récit suivant : « Les équipages de nos navires étaient tous confiants, ils n'attendaient qu'une chose, que la bataille et l'attaque de la forteresse commençassent et se terminassent. Moi-même et les autres comprenions déjà en cet instant, ce que c'était que d'attendre une mort aussi bien certaine qu'incertaine. Les plus sincères me demandèrent, si je venais à leur survivre, de saluer leurs familles, et c'est le cœur libre et serré que nous nous séparions pour rejoindre nos postes respectifs »[30].

Le bombardement danois débuta le 6 juillet entre quatre et six heures de l'après-midi et dura jusqu'à quatre heures du matin, le temps de tirer trente-cinq bombes depuis les deux bombardes. Le vaisseau-amiral participa aussi à l'engagement et les Algériens répliquèrent à coups de canon et de bombes depuis les batteries côtières, sans atteindre les navires[31].

Cependant, quelle était la situation dans la ville ? L'esclave norvégien Niels Nielsen Moss, capturé à l'automne 1769, à bord du bâtiment marchand *Jomfrue Christina*, de Trondheim, peut nous éclairer : « Le 6 juillet sur les quatre heures de l'après-midi, les Danois commencèrent à bombarder, à lancer quelques bombes, mais sans faire de progrès avant le crépuscule ; alors ils canonnèrent toute la nuit jusqu'au matin, presque continuellement, mais nous ne pûmes constater si les bombes envoyées firent quelque dégât dans la cité. Ah ! si seulement quelques bombes avaient atteint la ville ! où

---

[29]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 189.

[30]Hiorthoy, *op. cit.*

[31]**OLSEN (Poul)** : « Krigen mot Algier. » *Siden Saxo*, nr. 3. København 1995, p. 27. Il y eut des dégâts matériels et des pertes humaines dans la ville, mais les archives danoises et norvégiennes ne contiennent pas de bilan des pertes algériennes. L'une des sources les plus précieuses sur la guerre est un ensemble de poèmes anonymes en forme de chanson. Cf. **MEOUAK (Mohamed)** : « Le bombardement d'Alger par les Danois en 1770 d'après les « Vers en idiome barbaresque » : langue arabe et littérature dans l'Algérie du XVIII[e] siècle », in *Sacrum arabo-semiticum : homenaje al profesor Federico Corriente en su 65 aniversario*, Zaragoza, Instituto de estudios islamicos y del Oriente Proximo, Zaragoza, 2005, p. 271-287.

les rues sont si étroites que deux personnes ne peuvent y marcher l'une à côté de l'autre et que chaque maison repose sur la suivante ; cela aurait sûrement eu l'effet escompté. Mais comme tout cela avait échoué, les Turcs, devenus hautains et hâbleurs, commencèrent à se moquer de nous, misérables captifs, tout en jugeant leur cité invincible ; en outre, nous devions, autant durant la durée du siège qu'à l'accoutumée, en allant au travail chaque matin, passer devant les gardes de la Marine, qui venaient d'être relevées ; certains nous pointaient du doigt, riaient de nous, oui, et nous menaçaient avec leurs sabres, nous crachaient dessus, oui ; il y avait aussi ceux qui ramassaient des ordures dans la rue, nous les jetaient dessus et nous traitaient de *Dannemarkis*, *Dannemarkis* ! de faux chiens, de canailles, de peuple infidèle.

La ville était désormais en état d'alerte ; on envoya donc sept ou huit galiotes à rames et une demi-galère pour tenter d'enlever l'une des bombardes danoises, contre lesquelles ils étaient très fâchés, et ensuite l'amener dans le port ; de plus, le dey avait promis une récompense exceptionnelle à ceux qui pouvaient amener l'une d'entre elles car il faut savoir que ni l'or ni l'argent ne manquaient à Alger, mais comme les Turcs avaient toujours peur des bombardes et de l'artillerie des gros vaisseaux qui se trouvaient plus loin et couvraient les bombardes, ils n'osaient pas se rapprocher d'elles, et revenaient toujours bredouilles. Comme ces projets échouèrent ils firent croire au roi d'Alger que les bombardes étaient attachées aux gros vaisseaux par des chaînes et qu'il était donc impossible avec leur stratagème d'en enlever ne serait-ce qu'une seule, sauf s'ils pouvaient trouver un moyen de couper les chaînes ; et quand les gros navires voyaient certains de ces petits bateaux pirates, ils tiraient dessus avec ferveur, si bien que ceux-ci devaient faire demi-tour et que c'était pour cela, selon eux, qu'ils ne pouvaient pas suffisamment s'approcher des bombardes pour pouvoir couper les chaînes.

Pendant que tout cela se déroulait les chrétiens devaient travailler assidûment à porter vieux cordages, ballots de laine et autres choses du même genre qui pouvaient servir à protéger les soldats placés sur les murailles des fortifications ou ailleurs. Les boulets pouvaient ainsi s'écraser dessus sans blesser les soldats d'une quelconque manière. En plus de cela nous devions aider les autres esclaves chrétiens à traîner et à porter canons, mortiers,

bombes et boulets d'un endroit à l'autre et plus encore ; car les Turcs attendaient une attaque danoise de plus grande envergure contre la ville »[32].

C'est ainsi que la guerre fut vécue par cet esclave norvégien. Son compatriote, l'aumônier de marine Hiorthøy, décrit la première nuit des hostilités de la manière suivante : « La nuit entière était comme un feu d'artifice, je vis nos bombes avec précision pleuvoir sur la ville, mais je n'en aperçus qu'une seule qui donna de la lumière lorsqu'elle explosa, probablement à l'atterrissage, mais sans qu'on ne puisse voir où »[33].

Bien que l'amour du prochain soit une valeur centrale pour la religion dont Hiorthøy était représentant, celui-ci ne fit guère preuve d'empathie envers la population civile d'Alger qui fut atteinte par les bombes danoises. En revanche, il harangua les équipages à coups de passages de la bible pour entretenir le moral avant la bataille et il implora le Seigneur de bénir les artilleurs, avant que ceux-ci ne rejoignent leurs canons[34]. Le journal de l'aumônier ne laisse absolument aucune place à l'incertitude ou au doute quant à l'incompatibilité entre le message de la bible et le bombardement d'une ville avec le risque de pertes civiles. Hiorthøy était un homme de son temps quand guerre, politique et religion n'étaient qu'une seule et même réalité. Il était surtout inquiet pour les siens : « A chaque fois que j'étais à mon poste dans le navire, j'étais sur le point de succomber à la chaleur et à la fumée due à la poudre ; la peau se détachait des mains et du visage. Le navire était si infesté de poux que ma soutane en était recouverte quand je remontais de chez les malades. Ce que les officiers et les hommes du rang ont dû endurer au cours de cette expédition est difficile à imaginer »[35].

---

[32]**MOSS (Niels Nielsen)**: *En fuldstændig Historisk Efterretning om De Medfarendes Skiæbne paa Skibet Jomfrue Christina fra Trondhiem, som i Aaret 1769 blev optaget af Algiererne og giorte til Fanger, til deres Hiemkomst derfra sidst i Aaret 1772. Hvorhos er tilføyet et kort Anhang om Staden Algiers Beliggenhed, dens Indvaanere og videre Beskaffenhed. Eenfoldigst sammenskreven av N. M. Trondhiem*, 1773.
[33]Hiorthoy, *op. cit.*
[34]*Ibid*.
[35]*Ibid*.

Il est possible, en parcourant les journaux de bord danois, de suivre les étapes du bombardement en temps réel. Par exemple, à minuit et quart, les bombes du capitaine Kierulff, de la bombarde *Pak An*, commencèrent à atteindre leur but ; l'une d'entre elles atteignit la forteresse près du môle et une autre tomba en ville. La douzième bombe, tirée à deux heures cinq, atterrit plus au sud, sans ne rien atteindre, et la treizième tomba en ville, selon le journal de bord et les observateurs présents. Quatorze des tirs effectués depuis la bombarde *Pak An* furent comptés comme ajustés[36].

Le jour suivant, le vent n'était pas favorable, ce qui empêcha les bombardes de participer à l'action. L'opération fut reprise le 8 juillet, les bombardes lançant une quarantaine de bombes sur la ville. L'escadre était, au même moment, sous la menace de galères algériennes rapides qui tentèrent, entre autres, d'aborder les bombardes, mais qui finirent par se retirer sous le feu nourri de navires de l'escadre venant à la rescousse de ces dernières. Les bombardes furent retirées du combat le lendemain, le chef d'escadre Kaas craignant qu'elles n'explosent si la lueur de bouche mettait le feu à la soute aux poudres. En même temps, les Algériens envoyèrent vers les Danois cinq galères et six petits chébecs qui furent tous reçus par le feu du navire de ligne *Prindsesse Sophia Magdalena*[37].

L'expédition n'était, jusque-là, qu'un échec cuisant du point de vue danois. Aucune concession ne fut faite par le dey et le bombardement n'avait eu aucun effet. Pour couronner le tout l'escadre fut victime d'un vent contraire le 12 juillet. Il fallait, pour pouvoir tirer à pleine puissance sur la ville, s'avancer au plus près de celle-ci, mais une brise de mer menaçait de jeter les navires sur la côte ce qui, le cas échéant, garantissait la mise en esclavage de l'ensemble des équipages à Alger. Kaas convoqua un conseil de guerre car Alger était inexpugnable : les bombardes avaient échoué, le nombre de malades à bord ne cessait de croître ; il ne restait qu'une chose à faire, selon lui, ordonner un retrait total[38].

Le 15 juillet, l'escadre danoise quitta Alger et mit les voiles vers Port Mahon à Minorque où, à en croire un médecin de bord,

[36]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 189.
[37]*Ibid.*
[38]*Ibid.*

environ mille malades, soit un tiers des équipages, durent débarquer. Etant donné le manque de place pour accueillir les malades, un quart d'entre eux dut bivouaquer sans aucune protection contre le soleil et le vent et il en mourrait deux ou trois quotidiennement[39].

Peu de temps après l'arrivée à Port Mahon, les vaisseaux *Mars* et *Havfruen* furent envoyés patrouiller dans le détroit de Gibraltar, pour empêcher les corsaires algériens de sortir de la Méditerranée et de capturer des bâtiments. Les navires de guerre *Slesvig* et *Christiansøe* retournèrent au large d'Alger pour faire en sorte que la ville restât sous blocus jusqu'à la fin de la guerre. Au cours de l'automne 1770 les deux navires de ligne restants ainsi que les deux bombardes reçurent l'ordre de rentrer à Copenhague, mais les bombardes n'étant pas en état de naviguer et le navire amiral *Prinds Friderich* ayant subi une avarie, ce retour n'eut pas lieu avant la fin 1771[40].

En dépit du blocus, le dey d'Alger estimait qu'il avait remporté une victoire totale. Il aurait même annoncé qu'il n'y aurait jamais de paix avec le royaume dano-norvégien, aussi longtemps qu'il serait au pouvoir. Le chef d'escadre danois, Kaas, qui n'était pas non plus enclin à un accord de paix, suggéra à son gouvernement d'envoyer des renforts en Méditerranée pour attaquer de nouveau Alger au mois de mai[41].

Le Danemark n'était pas la première nation européenne à sous-estimer les capacités défensives d'Alger et elle ne fut pas non plus la dernière. L'Espagne envoya, par exemple, en 1775, une force navale gigantesque de 40 bâtiments de guerre de toutes tailles, ainsi que 368 bâtiments de transport contenant 24.000 soldats, dont 4.000 à cheval. Cette tentative d'invasion espagnole échoua également[42].

5. Commission d'enquête et réarmement

L'ambiance était plutôt morose lorsque les nouvelles de l'attaque ratée sur Alger arrivèrent à Copenhague. Le roi avait déjà,

[39] **OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 27-40.
[40] *Ibid.*
[41] *Ibid.*
[42] *Ibid.*

le 4 septembre 1770, ordonné l'établissement d'une commission d'enquête qui devait faire toute la lumière sur les raisons sous-jacentes de ce fiasco. A peine deux semaines après la formation de cette commission, Bernstorff fut prié de quitter son poste de ministre des Affaires étrangères, une éviction liée en réalité à une lutte de pouvoir interne au Danemark, la commission d'enquête n'ayant à cette époque pas rendu ses conclusions[43].

Celles-ci arriveront en février 1771. Bernstorff avait, après la rupture réelle de la paix, réagi trop tard. La flotte qu'il avait requise n'était pas suffisante. Le comte Danneskjold-Laurvig, intendant de marine, n'avait guère aidé à la planification de l'expédition. Kaas, le chef d'escadre, avait eu un comportement bien trop menaçant envers les conseillers du dey et il aurait dû savoir qu'il n'avait pas la puissance nécessaire pour concrétiser les menaces qu'il avait proférées contre Alger. Quant au directeur du chantier naval d'Holmen, à Copenhague, il avait manqué de rigueur lors du contrôle des bâtiments achetés pour faire office de bombardes. Ce dernier point fut disputé par l'intéressé, Frederik Michael Krabbe. Lui soutenait que c'était « uniquement le bruit du mortier, les ondes de choc » et « les détonations et déflagrations formidables » qui avaient causé les fissures sur le pont des bombardes et non le recul, qui avait été pris en compte lors de la construction des navires[44].

La commission avait noté la grande bravoure et la bonne volonté dont avait fait preuve la marine, mais les préparatifs insuffisants, les recommandations lacunaires, la précipitation et un éventail de mesures catastrophiques étaient bien responsables de ce fiasco méditerranéen[45].

Les investigations cessèrent soudainement. Les responsables furent poliment priés de se garder de commettre ce genre d'erreurs à l'avenir. Une réprimande discrète en soi, en somme, et la marine ne subit aucune forme de purge. Kaas fut, à sa grande surprise, rappelé à Copenhague peu de temps après la bataille et remplacé par le schoutbynacht Simon Hooglant, un des officiers de marine du

[43]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 190-195.
[44]*Ibid.*
[45]*Ibid.*

royaume qui connaissait le mieux les Barbaresques[46]. En 1740, il avait déjà joué un rôle conséquent lors de la signature de l'un des nombreux traités de paix entre la Hollande et la Régence d'Alger.

Le Danemark et la Régence d'Alger étaient donc toujours en guerre. En premier lieu c'était le commerce dano-norvégien qui en fit les frais -environ 400 bâtiments durent rester dans les ports du royaume, au lieu de naviguer en Méditerranée[47]. Les armateurs se retrouvèrent sans revenus et les marins au chômage, hormis ceux qui avaient réussi à s'engager sur des navires suédois ou hollandais[48].

Le blocus d'Alger n'en était pas un, le gouvernement français ayant fait pression sur son homologue danois, pour que les bâtiments français puissent passer sans être inquiétés. Les corsaires algériens jouissaient d'une certaine sécurité dans le port de la ville, tout en apportant à celle-ci les capacités défensives supplémentaires nécessaires. Ils ne subirent aucune perte, mais n'étaient en revanche pas actifs en Méditerranée : un seul bâtiment européen fut capturé par les Algériens en 1771[49].

Des bâtiments de guerre furent de nouveau envoyés en Méditerranée pour renforcer le blocus et il fut projeté, en 1771, de mener une expédition avec une flotte de 25 bâtiments. La plupart furent partiellement armés et on débattit même du nom à donner à de nouvelles bombardes. Ces préparatifs ne furent cependant jamais achevés[50].

---

[46]**OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 32.

[47]**OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 33. L'activité maritime dano-norvégienne en Méditerranée n'était pas tout à fait nulle durant ces années. Cependant, la peur des corsaires turcs était également présente dans les eaux plus septentrionales. Voir *Tronhiems Adresse-Contoirs Efterretninger*, du 29 novembre 1771 : « Cette semaine arriva le Capitaine Nathanael Angell avec un chargement de sel, provenant de St. Yves. Il raconte qu'il n'aperçut aucun pirate turc lors du voyage. Au retour, il fut accompagné de 5 autres vaisseaux danois et norvégiens ; leur Chef en cas d'attaque, était Ole Olsen Selwog de Copenhague, le Capitaine de la frégate *Christianus 7*, qui avait à bord 16 canons ainsi que de l'artillerie légère. Heureusement, ils passèrent la Manche sans rencontrer aucun danger. »

[48]**OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 34.

[49]**WANDEL (Carl Frederik)**: *Danmark og Barbareskerne 1746-1845*, Kobenhavn, 1919, p. 36.

[50]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 190-191.

Malgré le fait qu'Hooglant ainsi que plusieurs membres de la commission d'enquête ne s'étaient engagés que pour continuer à tenir le blocus initié par Kaas, un réarmement contre Alger était souhaité par le gouvernement danois. Aux manettes, dans cette seconde manche de préparatifs de guerre, se trouvait Johan Friedrich Struensee (1737-1772), un Allemand qui, étant médecin personnel du roi, s'était attiré les faveurs de celui-ci ainsi que celles de la reine, dont il était devenu l'amant en 1770. Cet homme eut le pouvoir absolu durant toute une période de l'histoire du royaume dano-norvégien. Partisan d'une ligne dure vis-à-vis d'Alger, il ordonna la construction de 8 nouvelles bombardes pour une nouvelle expédition punitive. Politique conciliant, son option militaire contre Alger suscite l'interrogation. Peut-être voulait-il prouver au monde que le Danemark était capable de résoudre un conflit par la force ou alors, voulait-il châtier Alger, pour l'exemple, et ouvrir la voie vers l'abolition de la course algérienne. Peut-être, enfin, voulait-il faire une démonstration de force adressée à son opposition interne qui tentait de menacer sa position au sommet du pouvoir danois. Struensee écrivit à propos du conflit avec l'Algérie : « si le Danemark veut être une nation commerciale, rien ne doit être épargné pour assurer la sécurité du commerce »[51].

Hooglant reçut l'ordre explicite de harceler le plus possible les Algériens, et il était plus particulièrement mentionné dans ses instructions qu'il ne devait pas rester inactif à Marseille. Il avait aussi procuration pour négocier avec le dey, mais uniquement si celui-ci prenait l'initiative[52].

Le dey ne montra aucune volonté de négocier en 1771 et ce, malgré les nouveaux préparatifs danois. Ce n'est qu'en 1772, comme suite à une médiation du consul d'Angleterre à Alger, que le dey laissa entendre qu'il était prêt à parlementer avec Hooglant. Celui-ci reçut des garanties concernant sa sécurité à Alger, lui étant simplement imposé de n'y arriver qu'avec deux navires de guerre[53]. Au même moment, la situation à Copenhague était propice à la signature d'un nouveau traité de paix. Struensee, qui avait régné de manière quasi absolue, fut arrêté au début de l'année 1772 et

[51] *Ibid.*
[52] *Ibid.*
[53] *Ibid.*

exécuté environ trois mois plus tard. La situation évolua rapidement et le projet d'expédition fut annulé. Seul le blocus fut maintenu. Bernstorff fut réintégré -mais mourut un mois après l'arrestation de Struensee[54]. Le fait que les équipages des bâtiments chargés du blocus d'Alger ou d'escorter les bâtiments marchands souffrissent grandement des maladies, a aussi pu contribuer à renforcer le désir de paix. Enfin, les rapports de Hooglant décrivaient le dey comme étant de plus en plus enclin à la paix[55]. Tout cela contribua à l'arrêt des projets militaires contre Alger.

6. Un nouveau traité de paix

Hooglant arriva à Alger en provenance de Marseille, le 7 mai 1772. La visite d'un chef d'escadre danois était, cette fois-ci, amicale et les soutes du navire Grønland pleines de présents -tabatières en or et brocard doré, entre autres- pour adoucir le dey. Un accord fut trouvé après plusieurs séances de négociations, étalées sur cinq jours. Cependant, il existait un décalage de taille entre, d'une part, les exigences du dey concernant les présents, les indemnisations dues au bombardement et le rachat des esclaves dano-norvégiens et, d'autre part, ce que Hooglant était prêt à offrir. De toute évidence, un traité de paix était bien plus nécessaire au royaume de Danemark qu'à Alger. Hooglant finit par consentir à accorder davantage de présents au dey, sous forme de munitions, pour obtenir la signature du traité. De plus, Baba Muhammad allait recevoir un paiement en espèces et en une seule fois, d'un montant de 50.000 sequins. Tout cela en plus des présents annuels « ordinaires » et des fameux présents consulaires tous les deux ans. Il fut aussi offert des cadeaux de moindre importance aux ministres du dey. Hooglant pouvait racheter les esclaves du dey pour 200 piastres chacun. Pour les autres esclaves, il devait négocier directement avec leurs propriétaires. Sur les quarante et un esclaves dano-norvégiens qui furent conduits à Alger en novembre 1769, trente-neuf étaient encore en vie au printemps 1772. En effet, deux esclaves trouvèrent la mort dans des accidents ; un troisième quitta Alger vivant, mais avec un handicap au bras, en raison d'un accident également. Neuf esclaves appartenant à des propriétaires

[54]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 190-191.
[55]**OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 34.

particuliers ne furent libérés que le 27 mai après qu'Hooglant ait difficilement négocié leur rançon[56].

Le nouveau traité de paix fut signé entre Alger et Copenhague, le 16 mai 1772. Hooglant espérait ainsi que « l'ancienne amitié, qui maintenant était renouvelée entre Sa Majesté Royale et Son Excellence le dey, durerait toujours ». Hooglant pria poliment le dey qu'en cas d'incompréhensions ou de désaccords futurs, d'écrire au gouvernement danois plutôt que de déclarer la guerre. Le dey répondit qu'il ferait de son mieux. La paix fut scellée puis célébrée avec un salut réciproque de 21 coups de canon, puis l'escadre danoise retourna à Copenhague[57].

Par la suite, Hooglant déclara « qu'avec ces gens il faut agir de façon radicalement différente qu'avec les autres nations, car ils ne comprennent rien et personne, hormis l'argent et sa valeur »[58]. Sans doute pensait-il à ce que cette guerre avait coûté au Danemark et se demandait-il peut-être s'il n'aurait pas fallu payer dès le départ pour éviter de coûteuses expéditions punitives.

Dans sa thèse de doctorat *The Danish Flag in the Mediterranean. Shipping and Trade, 1747-1807*, Dan Andersen a estimé une partie des coûts de la guerre algérienne. Concernant l'armement des vaisseaux de guerre, la perte du fret des armateurs et la perte des bâtiments capturés, il est question de la somme d'environ 1,5 millions de rixdales. Les trois bâtiments danois pris à l'automne 1769 ne furent pas rendus aux armateurs ; rappelons que l'un d'entre eux n'était pas assuré[59]. Ce qui ne fait pas l'objet de cette comptabilité ce sont les 500 marins et soldats danois et norvégiens qui sont morts de maladie sur les bâtiments chargés du blocus pendant la guerre.

---

[56]*Ibid*.

[57]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 190-191. Les bâtiments *Mars* et *Havfruen* arrivèrent à Copenhague le 31 mai 1772, *Christiansøe* et le chébec *Lindormen* les 12 et 13 août, *Prindsesse Wilhelmine Caroline* le 14 août, *Falster* le 16 août, *Slesvig* et le navire amiral *Sejeren* le 23 septembre, le transport *Grevinde Molkte* le 12 décembre, *Færøe* et *Alfen* n'arrivèrent qu'au printemps 1773. *Groenland*, qui était resté en Méditerranée pour veiller sur les vaisseaux danois transportant des présents vers Alger, revint à Copenhague le 15 juillet 1773. Cf. **EHLERS (EDUARD LAURITZ)** : *op. cit.*, p. 557-559.

[58]**OLSEN (Poul)** : *op. cit.*, p. 35.

[59]**ANDERSEN (Dan H.)**: *op. cit.*, p. 194.

Conclusion:

On peut affirmer que la guerre fut très coûteuse pour le Danemark qui, d'un point de vue économique, aurait gagné beaucoup plus s'il avait satisfait aux demandes du dey en 1769. L'autre leçon qui fut apprise c'est que la marine danoise était suffisamment puissante et préparée dans un contexte nordique, mais ne l'était pas pour le combat en Méditerranée. Alger était mieux organisée et défendue que prévu et le dey se révéla plus stratège que les Danois : Muhammad b. 'Uthmân fut le grand vainqueur, dans la guerre, comme dans la paix.

Sources manuscrites

-Archives d'Etat régionales de Trondheim (SAT). Trondheim stift og amts-arkiv, Fd5, fogdebrev Fosen 1743-1750.
-Archives Nationales de Norvège, Oslo, RAO : Avskriftsamlingen. Danske kanselli. L0068 - Supplikker 1699-1700.
-Deichmanske Bibliotek, Oslo. Manuskriptsamlingen, nr. 95. *Journal holden paa Hs. Kongl. Majestæts Orlog Skib Sophia Magdalena, over Expeditionen til Algier, begyndt den 4 april 1770 og endt den 23 May 1771. Holden av Hugo Friderich Hiorthoy. Pastor Navis*.

Sources imprimées et études

-**ANDERSEN (DAN H.)** : *The Danish Flag in the Mediterranean. Shipping and Trade, 1747-1807*, Vol 2 (Shipping 1773–1807), Copenhagen, Ph. D. Thesis, University of Copenhagen, 2000.
-**BREKKHUS (A. Ragnvald)** : *Omkring ransonpengene*, Bergen, Foreningen Bergen Sjøfartsmuseum, 1932.
-**EHLERS (EDUARD LAURITZ)** : « Danmarks Flaadetogt 1770-71 mod Sørøverstaten Algier », *Tidsskrift for Søvæsen*, 82, Aargang, Kjøbenhavn, 1911, 549-559.
-**MØLLER (Anders Monrad)** : « Oprettelsen af Slavekommissionen ». *Handels- og Søfartsmuseets Årbog*, bind 57, Kronborg (Helsingør), 1998, 100-115.
-**OLSEN (Poul)** : « Krigen mod Algier », *Siden Saxo*, 3, 12, Årgang, København 1995, 20-38.

-ØDEGAARD (Torbjørn) : *Oppgjøret med* røverstaten Algier, 1769-72, Horten, 2010.
-ØDEGAARD (Torbjørn) : *« Une paix et Amitié perpétuelles… » : sur le traité de paix entre le royaume du Danemark-Norvège et la Régence d'Alger,* 1746, Fredrikstad, SINAS, 2013 et Alger, Editions du CNRPAH, 2017.
-ØDEGAARD (Torbjørn) : *Les correspondances de Ludolf Hammeken, le premier consul danois à Alger 1746-1751*, Alger, Edition ENAG, 2016.
-ØDEGAARD (Torbjørn) : *Tyrkerranet. Om de nordiske slavene i Algier og Marokko inntil 1650*, Fredrikstad, Kystforlaget, 2021.
-ØDEGAARD (Torbjørn) : *De Fangene i Tyrkiet vedkommende. Kilder til løskjøp av norske, danske og islandske slaver fra Algier 1635-1636. En kommentert kildepublikasjon*, Fredrikstad, Kystforlaget, 2021.
-*Tronhiems Adresse-Contoirs Efterretninger*, 29 novembre 1771.
-WANDEL (Carl Frederik) : *Danmark og Barbareskerne 1746-1845*, Kobenhavn, 1919.